سورة الفلق

خمس آيات مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: ﴿قُلْ﴾ فوائد: **أحدها**:أنه سبحانه لما أُمر بقراءة سورة الإخلاص تنزيهًا له عما لا يليق به في ذاته وصفاته، وكان ذلك من أعظم الطاعات، فكأن العبد قال: إلهنا هذه الطاعة عظيمة جدًا لا أثق بنفسي في الوفاء بها، فأجاب بأن قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ أي استعذ بالله، والتجئ إليه حتى يوفقك لهذه الطاعة على أكمل الوجوه. **وثانيها**:أن الكفار لما سألوا الرسول عن نسب الله وصفته، فكأن الرسول عليه السلام قال: كيف أنجو من هؤلاء الجهال الذين تجاسروا وقالوا فيك ما لا يليق بك؟! فقال الله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ أي استعذ بي حتى أصونك عن شرهم. **وثالثها**:كأنه تعالى يقول: من التجأ إلى بيتي شرَّفته وجعلته آمنًا فقلت: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]فالتجىء أنت أيضًا إليَّ حتى أجعلك آمنًا فقل أعوذ برب الفلق.

المسألة الثانية: اختلفوا في أنه هل يجوز الاستعانة بالرقى والعوذ أم لا؟ **منهم قال**:إنه يجوز. واحتجوا بوجوه: **أحدها**:ما روي أن رسول الله ﷺاشتكى فرقاه جبريل عليه السلام، فقال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، والله يشفيك. **وثانيها**:قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺيعلمنا من الأوجاع كلها والحمى هذا الدعاء: «**بِاسْمِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ**»[(١)] **وثالثها**:قال عليه السلام: من دخل على مريض لم يحضره أجله فقال: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك (سبع مرات) شفي. **ورابعها**:عن علي عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺإذا دخل على مريض قال: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ**

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه الترمذي في (سننه) (٤/ ٤٠٥) حديث رقم (٢٠٧٥) وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وإبراهيم يضعف في الحديث ويروى (عرق يعار) اهـ، وابن ماجه في (سننه) (٢/ ١١٦٥) حديث رقم (٣٥٢٦) والحاكم في (المستدرك) (٤/ ٤٥٩) حديث رقم (٨٢٧٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأحمد في (مسنده) (١/ ٣٠٠) حديث رقم (٢٧٢٩) جميعًا من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس... به.

رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ»(١) . **وخامسها:** عن ابن عباس قال: كان رسول اللهﷺ يُعوذ الحسن والحسين يقول: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ»(٢) ويقول: «هكذا كان أبي إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق». **وسادسها:** قال عثمان بن أبي العاص الثقفي: قدمت على رسول الله وبي وجع قد كاد يبطلني، فقال رسول اللهﷺ: «اجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَيْهِ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ سَبْعَ مَرَّاتٍ»(٣) ففعلت ذلك فشفاني الله. **وسابعها:** روي أنه عليه السلام كان إذا سافر فنزل منزلاً يقول: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْكِ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَسَدٍ وَأُسُودٍ وَحَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ، وَمِنْ شَرِّ سَاكِنِي الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ»(٤) . **وثامنها:** قالت عائشة: كان رسول اللهﷺ إذا اشتكى شيئًا من جسده قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي. ومن الناس من منع من الرقى لما روي عن جابر، قال: نهى رسول اللهﷺ عن الرقى، وقال عليه السلام: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لاَ يَكْتَوُونَ

---

(١) **حسن لغيره:** أخرجه الترمذي في (سننه) (٥/ ٥٦١) حديث رقم (٣٥٦٥) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن وأحمد في (مسنده) (١/ ٧٦) حديث رقم (٥٦٥) وعبد بن حميد في (مسنده) (١/ ٥٢) حديث رقم (٦٦) جميعًا من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن علي رضي الله عنه. . . به، وفي إسناده الحارث الأعور ضعيف، ولكن يشهد له حديث عائشة وهو متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب (الطب) باب (رقية النبيﷺ) (٥/ ٢١٦٨) حديث رقم (٥٤١١) ومسلم في (صحيحه) (٤/ ١٧٢٢/ ٢١٩١) كلاهما من طريق مسروق، عن عائشة، قال: كان رسول اللهﷺ يُعوذ بهذه الكلمات. . . فذكره.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري في كتاب (أحاديث الأنبياء) باب (رقم ١٠) (٦/ ٤٧٠) حديث رقم (٣٣٧١) وأبو داود في كتاب (السنة) باب (في القرآن) (٤/ ٢٠٢٣) حديث رقم (٤٧٣٧) والترمذي في كتاب (الطب) باب (رقم ١٨) (٣٤٦) حديث رقم (٢٠٦٠) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب (الطب) باب (ما عوذ به النبيﷺ) (٢/ ١١٦٤) حديث رقم (٣٥٢٥) والإمام أحمد في (مسنده) (١/ ٣٤٦) جميعًا من طريق منصور. . . به.

(٣) **صحيح:** أخرجه أبو داود في كتاب (الطب) باب (كيف الرقى) (٤/ ١٦٧٥) حديث رقم (٣٨٩١) والترمذي في كتاب (الطب) باب (٢٩) (٤/ ٣٥٥) حديث رقم (٢٠٨٠) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في (عمل اليوم والليلة) (٥٥٠) حديث رقم (٩٩٩) وابن ماجه في كتاب (الطب) باب (ما عوذ به النبيﷺ وما عُوذ به) (٢/ ١١٦٣) حديث رقم (٣٥٢٢) ومالك في (الموطأ) في كتاب (العين) باب (التعوذ والرقية في المرض) (٢/ ٩٤٢) حديث رقم (٩) وأحمد في (مسنده) (٤/ ٢١) جميعًا من طريق يزيد بن خصيفة، عن عمر بن عبد الله بن كعب، عن نافع، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، قال: قدمت على رسول اللهﷺ وبي وجع قد كاد يبطلني، فقال لي رسول اللهﷺ: «اجعل يدك اليمني عليه، ثم قل. . .» فذكره.

(٤) **إسناده ضعيف:** أخرجه أبو داود في كتاب (الجهاد) باب (ما يقول الرجل إذا نزل المنزل) (٣/ ١١٢٧) حديث رقم (٢٦٠٣) وأحمد في (مسنده) (٢/ ١٣٣) حديث رقم (٦١٦١) وابن خزيمة في (صحيحه) (٤/ ١٥٢) حديث رقم (٢٥٧٢) من طريق صفوان. . . به، وأشار إليه الحافظ ابن حجر في التهذيب وقال: روى له أبو داود والنسائي حديثًا واحدًا. فذكره وقال في التقريب: مقبول.

،وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»(١) وقال عليه السلام: «لَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مَنِ اكْتَوَى وَاسْتَرْقَى»(٢) وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون النهي عن الرقى المجهولة التي لا تُعرف حقائقها، فأما ما كان له أصل موثوق، فلا نهي عنه. **واختلفوا في التعليق:** فروي أنه عليه السلام قال: «مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»(٣) وعن ابن مسعود: أنه رأى على أم ولده تميمة مربوطة بعضدها، فجذبها جذبًا عنيفًا فقطعها. ومنهم من جوزه، سئل الباقر عليه السلام عن التعويذ يعلق على الصبيان فرخص فيه، **واختلفوا في النفث أيضًا:** فروي عن عائشة أنها قالت: كان رسول اللهﷺ ينفث على نفسه إذا اشتكى بالمعوذات ويمسح بيده، فلما اشتكى رسول اللهﷺ وجعه الذي توفي فيه، طفقت أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث بها على نفسه. وعنه عليه السلام: (أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ وَقَرَأَ فِيهِمَا بِالْمُعَوِّذَاتِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ)(٤) ومنهم من أنكر النفث، قال عكرمة: لا ينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد. وعن إبراهيم قال: كانوا يكرهون النفث في الرقى. وقال بعضهم: دخلت على الضحاك وهو وجيع، فقلت: ألا أعوذك يا أبا

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ إنما جاء بلفظ: (سبعون ألفًا يدخلون الجنة لا حساب عليهم، الذين لا يكتوون ولا يسترقون. . .) الحديث، صحيح: أخرجه أحمد في (مسنده) (١/ ٤٢٠) حديث رقم (٣٩٨٧) من طريق هشام عن قتادة عن الحسن. . . به، والحاكم في (المستدرك) (٤/ ٦٢١) حديث رقم (٨٧٢١) من طريق سعيد عن قتادة عن الحسن والعلاء بن زياد عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود. . . به وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه بهذه السياقة. وأبو يعلى في (مسنده) (٩/ ٢٣١) حديث رقم (٥٣٣٩) من طريق شيبان عن قتادة عن الحسن. . . به وجاء أيضًا من طريق هشام عن الحسن عن عمران بن حصين. . . فذكره، وليس فيه ابن مسعود، أخرجه أحمد في (مسنده) (٤/ ٤٣٦) والبزار في مسنده (٩/ ٤٥) حديث رقم (٣٥٦٥) والروياني في (مسنده) (١/ ١٠٠) حديث رقم (٧٤) والطبراني في (الكبير) (١٨/ ١٦٩) حديث رقم (٣٨٠) جميعًا من طريق هشام عن الحسن. . . به.

(٢) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد في (مسنده) (٤/ ٢٥٣) حديث رقم (١٨٢٤٢) من طريق مجاهد عن حسان بن أبي وجزء عن عفار بن المغيرة بن شعبة عن أبيه. . . به.

(٣) رواه الترمذي في (سننه) (٤/ ٤٠٣) حديث رقم (٢٠٧٢) وأحمد في (مسنده) (٤/ ٣١٠/ ٣١١) والطبراني في (الكبير) (٢٢/ ٣٨٥) حديث رقم (٩٦٠) وابن قانع في (معجم الصحابة) (٢/ ١١٧) حديث رقم (٥٧٥) من طريق بن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الله بن عكيم. . . به، ورواه أبو نعيم في (معرفة الصحابة) (٢١/ ٤٤) حديث رقم (٦٣٧٤) جميعًا من طريق ابن أبي ليلى عن عيسى عن أبي معبد الجهني. . . به، وأورده الهيثمي في (المجمع) (٥/ ١٧٦) حديث رقم (٨٤٠٠) وقال: رواه الطبراني في ترجمة أبي معبد الجهني في الكنى قال: وقد قيل: إنه عبد الله بن عكيم. قلت: فإن كان هو فقد ثبتت صحته بقوله (سمعت) وفي إسناده محمد بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله ثقات، وأورده الألباني في (صحيح الترغيب) (٣٤٥٦) وقال: (حسن لغيره) ثم قال: رواه أبو داود والترمذي إلا أنه قال فقلنا ألا تعلق شيئًا؟ فقال: الموت أقرب من ذلك. اهـ.

(٤) **صحيح:** أخرجه البخاري في كتاب (فضائل القرآن) باب (فضل المعوذات) (٨/ ٦٧٩) حديث رقم (٥٠١٧) وأبو داود في كتاب (الأدب) باب (ما يقال عند النوم) (٤/ ٢١٥٢) حديث رقم (٥٠٥٦) والترمذي في كتاب (الدعوات) باب (ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام) (٥/ ٤٤١) حديث رقم (٣٤٠٢). وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأحمد في (مسنده) (٦/ ١١٦/ ١٥٤) جميعًا من طريق عقيل. . . به.

محمد؟ قال: بلى ولكن لا تنفث. فعوذته بالمعوذتين. قال الحليمي: الذي روي عن عكرمة أنه ينبغي للراقي أن لا ينفث ولا يمسح ولا يعقد، فكأنه ذهب فيه إلى أن الله تعالى جعل النفث في العقد مما يستعاذ منه، فوجب أن يكون منهيًا عنه، إلا أن هذا ضعيف لأن النفث في العقد إنما يكون مذمومًا إذا كان سحرًا مضرًّا بالأرواح والأبدان، فأما إذا كان هذا النفث لإصلاح الأرواح والأبدان وجب أن لا يكون حرامًا.

المسألة الثالثة: أنه تعالى قال في مفتاح القراءة: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[الأعراف: ٢٠٠] وقال ههنا: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وفي موضع آخر: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[المؤمنون: ٩٧] وجاء في الأحاديث: (أعوذ بكلمات الله التامات) ولا شك أن أفضل أسماء الله هو الله، وأما الرب فإنه قد يطلق على غيره، قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾[يوسف: ٣٩] فما السبب في أنه تعالى عند الأمر بالتعوذ لم يقل: (أعوذ بالله) بل قال: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾؟ **واجابوا عنه من وجوه: أحدها**: أنه في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[النحل: ٩٨] إنما أمره بالاستعاذة هناك لأجل قراءة القرآن، وإنما أمره بالاستعاذة ههنا في هذه السورة لأجل حفظ النفس والبدن عن السحر، والمهم الأول أعظم، فلا جرم ذكر هناك الاسم الأعظم. **وثانيها**: أن الشيطان يبالغ حال منعك من العبادة أشد مبالغة في إيصال الضر إلى بدنك وروحك، فلا جرم ذكر الاسم الأعظم هناك دون ههنا. **وثالثها**: أن اسم الرب يشير إلى التربية، فكأنه جعل تربية الله له فيما تقدم وسيلة إلى تربيته له في الزمان الآتي، أو كان العبد يقول: التربية والإحسان حرفتك فلا تهملني، ولا تخيب رجائي. **ورابعها**: أن بالتربية صار شارعًا في الإحسان، والشروع ملزم وخامسها: أن هذه السورة آخر سور القرآن فذكر لفظ الرب تنبيهًا على أنه سبحانه لا تنقطع عنك تربيته وإحسانه، **فإن قيل**: إنه ختم القرآن على اسم الإله حيث قال: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ قلنا: فيه لطيفة وهي كونه تعالى قال: قل أعوذ بمن هو ربي ولكنه إله قاهر لوسوسة الخناس فهو كالأب المشفق الذي يقول: ارجع عند مهماتك إلى أبيك المشفق عليك الذي هو كالسيف القاطع والنار المحرقة لأعدائك فيكون هذا من أعظم أنواع الوعد بالإحسان والتربية. **وسادسها**: كأن الحق قال لمحمد عليه السلام: قلبك لي فلا تُدخل فيه حب غيري، ولسانك لي فلا تذكر به أحدًا غيري، وبدنك لي فلا تشغله بخدمة غيري، وإن أردت شيئًا فلا تطلبه إلا مني، فإن أردت العلم فقل: رب زدني علمًا وإن أردت الدنيا فاسأل الله من فضله، وإن خفت ضررًا فقل: (أعوذ برب الفلق) فإني أنا الذي وصفت نفسي بأني خالق الإصباح. وبأني فالق الحَب والنوى، وما فعلت هذه الأشياء إلا لأجلك، فإذا كنت أفعل كل هذه الأمور لأجلك، أفلا أصونك عن الآفات والمخافات؟!

المسألة الرابعة: ذكروا في: الفلق وجوهًا: **أحدها**: أنه الصبح، وهو قول الأكثرين، قال الزجاج: لأن الليل يُفلق عنه الصبح ويُفرق، فَعَل بمعنى مفعول، يقال: هو أبين من فلق الصبح ومن فَرَق الصبح. وتخصيصه في التعوذ لوجوه: **الأول**: أن القادر على إزالة هذه الظلمات

الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضًا أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه. **الثاني:** أن طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج، فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظرًا لطلوع الصباح، كذلك الخائف يكون مترقيًا لطلوع صباح النجاح. **الثالث:** أن الصبح كالبشرى فإن الإنسان في الظلام يكون كلحم على وَضَم، فإذا ظهر الصبح فكأنه صاح بالأمان وبشَّر بالفرج؛ فلهذا السبب يجد كل مريض ومهموم خفة في وقت السحر، فالحق سبحانه يقول: قل أعوذ برب يعطي إنعام فلق الصبح قبل السؤال، فكيف بعد السؤال؟! **الرابع:** قال بعضهم: إن يوسف عليه السلام لما أُلقي في الجب وجعت ركبته وجعًا شديدًا فبات ليلته ساهرًا، فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه السلام بإذن الله يسليه ويأمره بأن يدعو ربه فقال: (يا جبريل ادع أنت وأؤمن أنا) فدعا جبريل وأمَّن يوسف فكشف الله ما كان به من الضر، فلما طاب وقت يوسف قال لجبريل: (وأنا أدعو أيضًا وتؤمن أنت) فسأل يوسف ربه أن يكشف الضر عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت، فلا جرم ما من مريض إلا ويجد نوع خفة في آخر الليل، وروي أن دعاءه في الجب: يا عُدتي في شدتي ويا مؤنسي في وحشتي ويا راحم غربتي ويا كاشف كربتي ويا مجيب دعوتي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام. **الخامس:** لعل تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لأنه وقت دعاء المضطرين وإجابة الملهوفين، فكأنه يقول: قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن كل مهموم. **السادس:** يحتمل أنه خص الصبح بالذكر لأنه أنموذج من يوم القيامة لأن الخلق كالأموات والدور كالقبور، ثم منهم من يخرج من داره مفلسًا عريانًا لا يُلتفت إليه، ومنهم من كان مديونًا فيُجر إلى الحبس، ومنهم من كان ملكًا مطاعًا فتُقدم إليه المراكب ويقوم الناس بين يديه، كذا في يوم القيامة بعضهم مفلس عن الثواب عارٍ عن لباس التقوى يُجر إلى الملك الجبار، ومن عبد كان مطيعًا لربه في الدنيا فصار ملكًا مطاعًا في العقبى يقدم إليه البراق. **السابع:** يحتمل أنه تعالى خص الصبح بالذكر لأنه وقت الصلاة الجامعة لأحوال القيامة فالقيام في الصلاة يذكر القيام يوم القيامة كما قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[المطففين: ٦] والقراءة في الصلاة تذكر قراءة الكتب والركوع في الصلاة يذكر من القيامة، قوله: ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾[السجدة: ١٢] والسجود في الصلاة يُذكر قوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[القلم: ٤٢] والقعود يذكر قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[الجاثية: ٢٨] فكأن العبد يقول: إلهي كما خلصتني من ظلمة الليل فخلِّصني من هذه الأهوال. وإنما خص وقت صلاة الصبح لأن لها مزيد شرف، على ما قال: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: ٧٨] أي تحضرها ملائكة الليل والنهار الثامن: أنه وقت الاستغفار والتضرع، على ما قال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٧] .**القول الثاني في الفلق:** أنه عبارة عن كل ما يفلقه الله كالأرض عن النبات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾[الأنعام: ٩٥] والجبال عن العيون: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[البقرة: ٧٤] والسحاب عن الأمطار والأرحام عن

الأولاد والبيض عن الفرخ والقلوب عن المعارف، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انقلاب، بل العدم كأنه ظلمة والنور كأنه الوجود، وثبت أنه كان الله في الأزل ولم يكن معه شيء ألبتة، فكأنه سبحانه هو الذي فلق بحار ظلمات العدم بأنوار الإيجاد والتكوين والإبداع، فهذا هو المراد من الفلق. **وهذا التأويل أقرب من وجوه: أحدها:** هو أن الموجود إما الخالق وإما الخلق، فإذا فسرنا الفلق بهذا التفسير صار كأنه قال: قل أعوذ برب جميع الممكنات، ومكون كل المحدثات والمبدعات. فيكون التعظيم فيه أعظم، ويكون الصبح أحد الأمور الداخلة في هذا المعنى. **وثانيها:** أن كل موجود إما واجب لذاته أو ممكن لذاته، والممكن لذاته يكون موجودًا بغيره، معدومًا في حد ذاته، فإذن كل ممكن فلا بد له من مؤثر يؤثر فيه حال حدوثه ويبقيه حال بقائه، فإن الممكن حال بقائه يفتقر إلى المؤثر والتربية، إشارة لا إلى حال الحدوث بل إلى حال البقاء، فكأنه يقول: إنك لست محتاجًا إلى حال الحدوث فقط بل في حال الحدوث وحال البقاء معًا في الذات وفي جميع الصفات، فقوله: ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ يدل على احتياج كل ما عداه إليه حالتي الحدوث والبقاء في الماهية والوجود بحسب الذوات والصفات، وسر التوحيد لا يصفو عن شوائب الشرك إلا عند مشاهدة هذه المعاني. **وثالثها:** أن التصوير والتكوين في الظلمة أصعب منه في النور، فكأنه يقول: أنا الذي أفعل ما أفعله قبل طلوع الأنوار وظهور الأضواء، ومثل ذلك مما لا يتأتى إلا بالعلم التام والحكمة البالغة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]

القول الثالث: أنه واد في جهنم أو جُبّ فيها، من قولهم لِما اطمأن من الأرض (الفلق) والجمع فلقان، وعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خصب العيش فقال: لا أبالي، أليس من ورائهم الفلق؟ فقيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فُتح صاح جميع أهل النار من شدة حره. وإنما خصه بالذكر ههنا لأنه هو القادر على مثل هذا التعذيب العظيم الخارج عن حد أوهام الخلق، ثم قد ثبت أن رحمته أعظم وأكمل وأتم من عذابه، فكأنه يقول: يا صاحب العذاب الشديد، أعوذ برحمتك التي هي أعظم وأكمل وأتم وأسبق وأقدم من عذابك.

قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في تفسير هذه الآية وجوه: **أحدها:** قال عطاء عن ابن عباس: يريد إبليس خاصة؛ لأن الله تعالى لم يخلق خلقًا هو شر منه، ولأن السورة إنما نزلت في الاستعاذة من السحر، وذلك إنما يتم بإبليس وبأعوانه وجنوده. **وثانيها:** يريد جهنم، كأنه يقول: قل أعوذ برب جهنم ومن شدائد ما خلق فيها. **وثالثها:** ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ يريد من شر أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والهوام وغيرهما، ويجوز أن يدخل فيه من يؤذيني من الجن والإنس أيضًا

ووصف أفعالها بأنها شر، وإنما جاز إدخال الجن والإنسان تحت لفظة (ما) لأن الغلبة لمَّا حصلت في جانب غير العقلاء حسن استعمال لفظة (ما) فيه لأن العبرة بالأغلب أيضًا، ويدخل فيه شرور الأطعمة الممرضة وشرور الماء والنار، **فإن قيل:** الآلام الحاصلة عقيب الماء والنار ولدغ الحية والعقرب حاصلة بخلق الله تعالى ابتداء، على قول أكثر المتكلمين، أو متولدة من قوى خلقها الله تعالى في هذه الأجرام، على ما هو قول جمهور الحكماء وبعض المتكلمين، وعلى التقديرين فيصير حاصل الآية أنه تعالى أمَر الرسول عليه السلام بأن يستعيذ بالله من الله، فما معناه؟ **قلنا:** وأي بأس بذلك، ولقد صرح عليه السلام بذلك فقال: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»(١)

ورابعها: أراد به ما خلق من الأمراض والأسقام والقحط وأنواع المحن والآفات.

وزعم الجبائي والقاضي أن هذا التفسير باطل؛ لأن فعل الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شر، قالوا: ويدل عليه وجوه: **الأول:** أنه يلزم على هذا التقدير أن الذي أمر بالتعوذ منه هو الذي أمرنا أن نتعوذ به، وذلك متناقض. **والثاني:** أن أفعال الله كلها حكمة وصواب، وذلك لا يجوز أن يقال: إنه شر. **والثالث:** أن فعل الله لو كان شرًا لوُصف فاعله بأنه شرير ويتعالى الله عن ذلك. **والجواب عن الأول:** أنا بينا أنه لا امتناع في قوله أعوذ بك منك؟ **وعن الثاني:** أن الإنسان لما تألم به فإنه يعد شرًا، فورد اللفظ على وفق قوله، كما في قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] **وعن الثالث:** أن أسماء الله توقيفية لا اصطلاحية، ثم الذي يدل على جواز تسمية الأمراض والأسقام بأنها شرور قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا﴾ [المعارج: ٢٠] وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت: ٥١] وكان عليه السلام يقول: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (القنوت في الوتر) (٢/ ٦٥) حديث رقم (١٤٢٧) من طريق موسى بن إسماعيل... به، والترمذي في كتاب (الدعوات) باب (في دعاء الوتر) (٥/ ٥٢٤) حديث رقم (٣٥٦٦) من طريق أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون... به، والنسائي في كتاب (قيام الليل وتطوع النهار) باب (الدعاء في الوتر) (٢/ ٣٩٦) حديث رقم (١٧٤٦) وابن ماجه في كتاب (إقامة الصلاة) باب (ما جاء في القنوت في الوتر) (٣/ ٣٧٣) حديث رقم (١١٧٩) من طريق حفص أبي عمر عن بهز بن أنس... به، وقال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث علي، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمة، ثلاثتهم (موسى، يزيد، بهز) عن حماد عن هشام، عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن علي، قال: إن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره... فذكره.

(٢) أخرجه الطبراني في (الكبير) (٤/ ١١٤) حديث رقم (٣٨٣٨) من طريق المسيب بن واضح عن مضمر بن سليمان عن حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني عن أبي العالية عن خالد بن الوليد... به، ورواه البيهقي في (شعب الإيمان) (٤/ ١٧٥) حديث رقم (٤٧١٠) من طريق معمر عن قتادة عن أبي رافع أن خالد بن الوليد... فذكره، وعبد الرزاق في (مصنفه) (١١/ ٣٥) حديث رقم (١٩٨٣١) وأورده الهيثمي في (المجمع) (١٠/ ١٧٦) وقال: رواه الطبراني وفيه المسيب بن واضح وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة، وكذلك الحسن بن علي العمري، وبقية رجاله رجال الصحيح، والنسائي في (سننه الكبرى) (٦/ ٢٣٧) حديث رقم (١٠٧٩٢) من طريق يحيى بن سعيد قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد عن عياش الشامي عن عبد الله بن مسعود... به، ورواه=

المسألة الثانية: طَعَن بعض الملحدة في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من وجوه: **أحدها**: أن المستعاذ منه أهو واقع بقضاء الله وقدره، أو لا بقضاء الله ولا بقدره؟ فإن كان الأول فكيف أمر بأن يستعيذ بالله منه، وذلك لأن ما قضى الله به وقدره فهو واقع، فكأنه تعالى يقول: الشيء الذي قضيتُ بوقوعه، وهو لا بد واقع فاستعذ بي منه حتى لا أوقعه. وإن لم يكن بقضائه وقدره فذلك يقدح في مُلك الله وملكوته. **وثانيها**: أن المستعاذ منه إن كان معلوم الوقوع فلا دافع له، فلا فائدة في الاستعاذة، وإن كان معلوم اللاوقوع، فلا حاجة إلى الاستعاذة. **وثالثها**: أن المستعاذ منه إن كان مصلحة فكيف رغب المكلف في طلب دفعه ومنعه؟ وإن كان مفسدة فكيف خلقه وقدره؟! واعلم أن الجواب عن أمثال هذه الشبهات. أن يقال إنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وقد تكرر هذا الكلام في هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾

ذكروا في الغاسق وجوهًا أحدها: أن الغاسق هو الليل إذا عظم ظلامه، من قوله: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ومنه غسقت العين، إذا امتلأت دمعًا، وغسقت الجراحة، إذا امتلأت دمًا، وهذا قول الفراء وأبي عبيدة، وأنشد ابن قيس:

إِنَّ هَـذَا الـلَّـيْـلَ قَـدْ غَـسَـقَـا وَاشْـتَـكَـيْـتُ الْـهَـمَّ وَالْأَرَقَـا[١]

وقال الزجاج: الغاسق في اللغة هو البارد، وسمي الليل غاسقًا لأنه أبرد من النهار، ومنه قوله: إنه الزمهرير. **وثالثها**: قال قوم: الغاسق والغساق هو السائل، من قولهم: غسقت العين تغسق غسقًا، إذا سالت بالماء، وسمي الليل غاسقًا لانصباب ظلامه على الأرض. **أما الوقوب**: فهو الدخول في شيء آخر بحيث يغيب عن العين، يقال: وقب يقب وقوبًا، إذا دخل، الوقبة النقرة لأنه يدخل فيها الماء، والإيقاب: إدخال الشيء في الوقبة، هذا ما يتعلق باللغة. **وللمفسرين في الآية أقوال: أحدها**: أن الغاسق إذا وقب هو الليل إذا دخل، وإنما أمر أن يتعوذ من شر الليل لأن في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من مكانها، ويهجم السارق والمكابر ويقع الحريق ويقل فيه الغوث، ولذلك لو شهر (معتد) سلاحًا على إنسان ليلًا فقتله، المشهور عليه لا يلزمه قصاص، ولو كان نهارًا يلزمه لأنه يوجد فيه الغوث، وقال قوم: إن في الليل تنتشر الأرواح

=الطبراني في (الدعاء) (١/ ٣٢٢) حديث رقم (١٠٥٨) من طريق إبراهيم بن طُريف عن يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود... به، وأورده الهيثمي في (المجمع) (١٠/ ١٧٧) من حديث ابن مسعود، وقال: رواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفه.

(١) هذا البيت لعبيد الله بن الرقيات وهو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، ابن قيس الرقيات. ؟ - ٨٥هـ/ ؟ - ٧٠٤م، شاعر قريش في العصر الأموي، كان مقيمًا في المدينة خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام، سنة وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبد الملك في أمره فأمّنه، فأقام إلى أن توفي.

المؤذية المسماة بالجن والشياطين، وذلك لأن قوة شعاع الشمس كأنها تقهرهم، أما في الليل فيحصل لهم نوع استيلاء. **وثانيها:** أن الغاسق إذا وقب هو القمر، قال ابن قتيبة: الغاسق: القمر سُمي به لأنه يكسف فيغسق، أي يذهب ضوؤه ويسود، (و) وقوبه دخوله في ذلك الاسوداد، روى أبو سلمة عن عائشة أنه أخذ رسول الله ﷺ بيدها وأشار إلى القمر، وقال: «**اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّهُ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»[1] قال ابن قتيبة: ومعنى قوله: (تعوذي بالله من شره إذا وقب) أي إذا دخل في الكسوف، وعندي فيه وجه آخر: وهو أنه صح أن القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم، فهذا هو المراد من كونه غاسقًا، وأما وقوبه فهو انمحاء نوره في آخر الشهر، والمنجمون يقولون: إنه في آخر الشهر يكون منحوسًا قليل القوة، لأنه لا يزال ينتقص نوره فبسبب ذلك تزداد نحوسته، ولذلك فإن السحرة إنما يشتغلون بالسحر المورث للتمريض في هذا الوقت، وهذا مناسب لسبب نزول السورة، فإنها إنما نزلت لأجل أنهم سحروا النبي ﷺ لأجل التمريض. **وثالثها:** قال ابن زيد: الغاسق إذا وقب يعني الثريا إذا سقطت. قال، وكانت الأسقام تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، وعلى هذا تسمى الثريا غاسقًا؛ لانصبابه عند وقوعه في المغرب، ووقوبه دخوله تحت الأرض وغيبوبته عن الأعين. **ورابعها:** قال صاحب الكشاف: يجوز أن يراد بالغاسق: الأسود من الحيات، ووقوبه: ضربه ونقبه، والوقب والنقب واحد، واعلم أن هذا التأويل أضعف الوجوه المذكورة. **وخامسها:** الغاسق: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ هو الشمس إذا غابت، وإنما سميت غاسقًا لأنها في الفلك تسبح فسمي حركتها وجريانها بالغسق، ووقوبها غيبتها ودخولها تحت الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: في الآية قولان: **الأول:** أن النفث: النفخ مع ريق، هكذا قاله صاحب الكشاف، ومنهم من قال: إنه النفخ فقط، ومنه قوله عليه السلام: «إِنَّ جِبْرِيلَ نَفَثَ فِي رُوعِي» والعُقَد جمع عقدة، والسبب فيه أن الساحر إذا أخذ في قراءة الرقية أخذ خيطًا، ولا يزال يعقد عليه عقدًا بعد عقد وينفث في تلك العقد، وإنما أنث النفاثات لوجوه: **أحدها:** أن هذه الصناعة إنما تُعرف بالنساء لأنهن يعقدن وينفثن، وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر

---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه الترمذي في (سننه) (٥/ ٤٥٢) حديث رقم (٣٣٦٦) وقال: حسن صحيح. والحاكم في (المستدرك) (٢/ ٥٨٩) حديث رقم (٣٩٨٩) وقال: صحيح الإسناد. والطيالسي في (مسنده) (١/ ٢٠٨) حديث رقم (١٤٨٦) وعبد بن حميد في (مسنده) (١/ ٤٣٩) حديث رقم (١٥١٧) والطبري في (تفسيره) (٢٤/ ٧٠٤) والنسائي في (سننه الكبرى) (٦/ ٨٢) حديث رقم (١٠١٣٧) والطحاوي في (مشكل الآثار) (٤/ ٣١٧) حديث رقم (١٥٢٧) جميعًا من طرق عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة... به.

وإحكام الهمة والوهم فيه، وذلك إنما يتأتى من النساء لقلة علمهن وشدة شهوتهن، فلا جرم كان هذا العمل منهن أقوى، قال أبو عبيدة: النفاثات هن بنات لبيد بن أعصم اليهودي، سحرن النبي ﷺ. **وثانيها:** أن المراد من: النفاثات النفوس. **وثالثها:** المراد منها الجماعات، وذلك لأنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد أكثر كان التأثير أشد. **القول الثاني وهو اختيار أبي مسلم:** ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ أي النساء في العقد، أي في عزائم الرجال وآرائهم، وهو مستعار من عقد الحبال، والنفث وهو تليين العقدة من الحبل بريق يقذفه عليه ليصير حله سهلاً، فمعنى الآية أن النساء لأجل كثرة حبهن في قلوب الرجال يتصرفن في الرجال يحولنهم من رأي إلى رأي، ومن عزيمة إلى عزيمة، فأمر الله رسوله بالتعوذ من شرهن، كقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] فلذلك عظَّم الله كيدهن فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]. واعلم أن هذا القول حسن، لولا أنه على خلاف قول أكثر المفسرين.

المسألة الثالثة: أنكرت المعتزلة تأثير السحر، وقد تقدمت هذه المسألة، ثم قالوا: سبب الاستعاذة من شرهن لثلاثة أوجه: **أحدها:** أن يستعاذ من إثم عملهن في السحر. **والثاني:** أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن. **والثالث:** أن يستعاذ من إطعامهن الأطعمة الرديئة المورثة للجنون والموت.

قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

من المعلوم أن الحاسد هو الذي تشتد محبته لإزالة نعمة الغير إليه، ولا يكاد يكون كذلك إلا ولو تمكنَ من ذلك بالحيل لفعل؛ فلذلك أمر الله بالتعوذ منه، وقد دخل في هذه السورة كل شر يُتوقى ويُتحرز منه دينًا ودنيا، فلذلك لما نزلت فَرِح رسول الله ﷺ بنزولها لكونها مع ما يليها جامعة في التعوذ لكل أمر، ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره. **بقي هنا سؤالان:**

السؤال الأول: قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عام في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ **الجواب:** تنبيهًا على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر.

السؤال الثاني: لمَ عَرَّف بعض المستعاذ منه ونكَّر بعضه؟ **الجواب:** عَرَّف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة، ونكَّر غاسقًا لأنه ليس كل غاسق شريرًا، وأيضًا ليس كل حاسد شريرًا، بل رُب حسد يكون محمودًا وهو الحسد في الخيرات.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

تفسير سورة «الفلق»

وهي مكية؛ في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. ومدنِية؛ في أحد قولي ابن عباس وقتادة. وهي خمس آيات.

وهذه السورة وسورة «الناس» و«الإخلاص» تعوَّذ بهنَّ رسول الله ﷺ حين سَحَرته اليهود؛ على ما يأتي. وقيل: إن المُعَوِّذتين كان يقال لهما: المُقشقِشتان، أي: تُبْرئان من النِّفاق. وقد تقدَّم[1]. وزعم ابن مسعود أنهما دعاءٌ تعوَّذ به، وليستا من القرآن؛ خالف به الإجماعَ من الصحابة وأهل البيت[2].

قال ابن قتيبة: لم يَكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوِّذتين؛ لأنه كان يسمع رسولَ الله ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما، فقدَّر أنهما بمنزلة: «أُعيذُكما بكلماتِ الله التامَّةِ، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة»[3].

قال أبو بكر الأنباريّ: وهذا مردودٌ على ابن قتيبة؛ لأن المعوِّذتين من كلام رب العالمين المُعجز لجميع المخلوقين، و«أُعيذكما بكلماتِ الله التامَّة» من قول البشريين[4]. وكلامُ الخالق الذي هو آيةٌ لمحمد ﷺ خاتم النبيين، وحُجَّةٌ له باقية على جميع الكافرين، لا يلتبس بكلام الآدميين، على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان، العالم باللغة، العارف بأجناسِ الكلام، وأفانين القول.

وقال بعض الناس: لم يكتب عبدُ الله المعوِّذتين لأنه أَمِنَ عليهما من النسيان،

---

(١) ص٥٣٣ من هذا الجزء.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٧٣ . وقول ابن مسعود ﷺ أخرجه البزار في مسنده (١٥٨٦) ولفظه: كان عبد الله يحكُّ المعوذتين من المصحف، ويقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوَّذ بهما، وكان عبد الله لا يقرأ بهما. وأخرجه بمعناه أحمد (٢١١٨١) والبخاري (٤٩٧٧) وينظر ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧٤١ - ٧٤٣ في هذه المسألة.

(٣) أخرجه أحمد (٢١١٢)، والبخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (م) البشر بيِّنٌ.

فأسقطهما وهو يحفظهما؛ كما أسقط فاتحةَ الكتاب من مصحفه، وما يُشَكُّ في حفظه وإتقانه لها. فردّ هذا القول على قائله، واحتجَّ عليه بأنه قد كتب: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، و﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وهن يجرين مجرى المعوِّذتين في أنهن غير طوال، والحفظ إليهن أسرعُ، ونسيانُهن مأمون، وكلهنَّ يُخالف فاتحة الكتاب؛ إذ الصلاة لا تتم إلا بقراءتها. وسبيل كل ركعة أن تكون المقدَّمة فيها قبل ما يُقْرأ من بعدها، فإسقاط فاتحة الكتاب من المصحف، على معنى الثقة ببقاء حفظها، والأمن من نسيانها، صحيح، وليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها، ولا يُسْلك به طريقها. وقد مضى هذا المعنى في سورة «الفاتحة»(١) والحمد لله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

فيه تسعة مسائل:

الأولى: روى النسائيّ عن عقبة بن عامر، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو راكب، فوضعتُ يدي على قدمه، فقلت: أَقرئني سورةَ يوسف. فقال لي: «ولَنْ تَقرأ شيئاً أبلغَ عند الله من ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾»(٢). وعنه قال: بينا أنا أَسير مع النبيّ ﷺ بين الجُحْفَة والأَبْواءِ، إذ غَشِيَتْنا ريح مُظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذ بـ «أعوذ برب الفلق»، و«أعوذ برب الناس»، ويقول: «يا عقبة، تعوَّذ بهما، فما تعوّذ مُتعوِّذ

(١) ١/١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) سنن النسائي (المجتبى) ٨/ ٢٥٤ ، وأخرجه أحمد (١٧٣٤١).

بمثلهما». قال: وسمعتُه يقرأ بهما في الصلاة[١].

وروى النَّسائي عن عبد الله قال: أصابنا طَشٌّ وظُلْمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يخرج[٢]، ثم ذكر كلاماً معناه: فخرج رسولُ الله ﷺ [لِيصلِّي بنا]، فقال: «قُلْ». فقلت: ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين، حين تمسي وحين تُصبح ثلاثاً، يكفِك كل شيء»[٣].

وعن عقبة بن عامر الجُهَنِي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قُلْ». قلت: ما أقول؟ قال: «قل: قل هو الله أحد. قل أعوذ برب الفلق. قل أعوذ برب الناس» فقرأهُنَّ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «لم يتعوَّذ الناسُ بمثلهنَّ» أو «لا يتعوَّذ الناس بمثلهنَّ»[٤].

وفي حديث ابن عابس[٥]: «قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، هاتين السورتين». وفي «صحيح» البخاري ومسلم عن عائشة أن النبيّ ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نَفْسه بالمُعوِّذتَيْنِ ويَنْفِثُ، فلما اشتدَّ وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده، رجاءَ بركتها[٦]. النَّفْث: النفخ ليس معه ريق.

الثانية: ثبت في «الصحيحين»[٧] من حديث عائشة أن النبيّ ﷺ سَحَره يهوديٌّ من يهود بني زُرَيْق، يقال له لَبِيدُ بن الأَعْصم، حتى يخيلُ إليه أنه كان يفعل الشيء ولا

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٣).

(٢) لفظ: يخرج، من (د) و(م)، وفي سنن النسائي: ليصلِّي بنا.

(٣) سنن النسائي (المجتبى) ٨/ ٢٥٠ - وما بين حاصرتين منه - وأخرجه أحمد (٢٢٦٦٤)، وعبد الله: هو ابن خُبيب ﷺ، وقوله: طشّ، أي: مطر خفيف. قاله السندي كما في حاشية المسند.

(٤) أخرجه النسائي ٨/ ٢٥١ .

(٥) في النسخ: ابن عباس، وهو خطأ، والحديث أخرجه أحمد (١٧٢٩٧)، والنسائي ٨/ ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٦) صحيح البخاري (٥٧٣٥)، وصحيح مسلم (٢١٩٢)، وأخرجه أحمد (٢٤٨٣١)، وسلف قسم منه ٢/ ٢٧٦ .

(٧) صحيح البخاري (٥٧٦٣)، وصحيح مسلم (٢١٨٩)، وهو في مسند أحمد (٢٤٣٠٠).

يفعله، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ـ في غير الصحيح: سنة[١] ـ ثم قال: «يا عائشة، أَشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه. أتاني ملكان، فجلس أحدُهما عند رأسي، والآخر عند رِجلي، فقال [أحدهما لصاحبه][٢]: ما شأن الرجل؟ قال: مطْبوب[٣]. قال: ومَنْ طَبَّهُ؟ قال: لَبيدُ بن الأعصم. قال: في ماذا؟ قال: في مُشْط ومُشاطة وجُفِّ طلعةٍ ذكر[٤]، تحت راعوفة في بئر ذي أَرْوَان». فجاء البئر واستخرجه. انتهى الصحيح.

وقال ابن عباس: «أما شَعَرْتِ يا عائشة أن الله تعالى أخبرني بدائي». ثم بعث عَلِيًّا والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماءَ تلك البئر كأنه نُقاعة الحِنَّاء، ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفة ـ صخرة تُترَكُ أسفلَ البئر يقوم عليها المائح[٥] ـ وأخرجوا الجُفَّ، فإذا مُشَاطة رأس إنسان، وأسنان من مُشْط، وإذا وتر معقودٌ فيه إحدى عشرةَ عقدةً مغرزةً بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العُقَد، وأُمر أن يَتَعَوَّذُ بهما؛ فجعل كلما قرأ آيةً انحلَّت عقدة، ووجد النبيُّ ﷺ خِفَّةً، حتى انحلَّت العقدةُ الأخيرة، فكأنما أُنْشِطَ من عِقال، وقال: ليس به بأس. وجعل جبريل يَرْقي رسول الله ﷺ فيقول: «بسم الله أَرْقِيك، من كل شيء يُؤذيك، من شرِّ حاسدٍ وعَيْن، والله يَشْفِيك». فقالوا: يا رسول الله، ألا نقتلُ الخبيثَ. فقال:

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٠/٢٢٦ : قال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي ﷺ فيها في السحر حتى ظَفِرتُ به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث ستة أشهر، كذا قال، وقد وجدناه موصولاً بإسناد الصحيح، فهو المعتمد. اهـ.

(٢) ما بين حاصرتين من صحيح البخاري.

(٣) أي: مسحور. فتح الباري ١٠/٢٢٦ .

(٤) قال السندي كما في حاشية المسند: قوله: جُفّ طلعة ذكر: هو الغشاء الذي على طلع النخل، ويطلق النخل على الذكر والأنثى، ولذا قيَّده بالذكر.

(٥) المائح: الذي يكون في أسفل البئر يملأ الدلو. أما الماتح: فهو المستقي من البئر بالدلو من أعلى البئر. النهاية (متح).

«أمّا أنا فقد شفانِي الله، وأكره أن أُثيرَ على الناس شَرًّا»[١].

وذكر القشيري في «تفسيره» أنه ورد في الصِّحاح: أن غلاماً من اليهود كان يخدمُ النبيّ ﷺ، فدسَّتْ إليه اليهود، ولم يزالوا به حتى أَخَذَ مُشاطة رأس النبيّ ﷺ. ـ والمُشاطة، بضم الميم: ما يسقُط من الشعر عند المَشْط[٢] ـ وأخذ عدّةً من أسنان مُشْطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي يتولى ذلك لَبيدُ بن الأَعْصم اليهوديّ. وذكر نحو ما تقدّم عن ابن عباس.

الثالثة: تقدّم في البقرة القول في السحر وحقيقته، وما ينشأ عنه من الآلام والمفاسد، وحكم الساحر[٣]؛ فلا معنى لإعادته.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ اختُلف فيه؛ فقيل: سجن في جَهنم؛ قاله ابن عباس. وقال أُبَيُّ بن كعب: بيت في جهنم إذا فُتح صاح أهلُ النار من حره. وقال الحُبُليّ أبو عبد الرحمن: هو اسمٌ من أسماء جهنم. وقال الكلبي: وادٍ في جهنم. وقال عبد الله بن عمر: شجرة في النار. سعيد بن جُبير: جُبٌّ في النار.

النحاس: يقال لما اطمأنَّ من الأرض: فَلَق؛ فعلى هذا يَصِحُّ هذا القول. وقال جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير أيضاً ومجاهد وقتادة والقُرَظيّ وابن زيد: الفَلَق: الصُّبْح. وقاله ابن عباس[٤]. تقول العرب: هو أبينُ من فَلَقِ الصُّبْح، وفَرَق

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس وعائشة ﷺ، كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٥٣٨ . قال الحافظ ابن كثير: هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم.

وقوله منه: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين اللهُ يشفيك» وأن جبريل رقى بهذه الكلمات النبي ﷺ أخرجه أحمد (١١٢٢٥) و(٢٥٢٧٢)، ومسلم (٢١٨٦) و(٢١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري وعائشة رضي الله عنهما.

(٢) المفهم ٥/ ٥٧٢ .

(٣) ٢/ ٢٧٢ وما بعدها.

(٤) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٤/ ٧٤١ - ٧٤٤ .

الصبح[١]. وقال الشاعر:

يـا لـيـلـةً لـم أنَـمْـهَـا بِـتُّ مُـرْتَـفِـقـاً أَرْعَـى الـنـجـومَ إلـى أَنْ نَـوَّرَ الـفـلَـقُ[٢]

وقيل: الفلق: الجبال والصخور تنفلق بالمياه، أي: تتشقق.

وقيل: هو التفليق بين الجبال والصخور؛ لأنها تتشقق من خوف الله عز وجل. قال زهير:

مـا زِلْـتُ أَرْمُـقُـهُـمْ حـتـى إذا هَـبَـطَـتْ أيدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِن راكِسٍ فَلَقَا[٣]

الراكس: بطن الوادي. وكذلك هو في قول النابغة:

أَتـانـي ودُونـي راكِـسٌ فـالـضَّـواجِـعُ[٤]

والـراكـس أيضـاً: الـهـادي، وهـو الـثـور وسـط الـبَـيْـدَر، تـدور عـلـيـه الـثّـيـران في الدِّياسة[٥].

وقيل: الرحم تنفلق بالحيوان. وقيل: إنه كلُّ ما انفلق عن جميع ما خَلَق من الحيوان والصبحِ والحَبّ والنَّوَى، وكل شيء من نبات وغيره؛ قاله الحسن وغيره. قال الضحاك: الفَلَقُ الخَلْق كُلُّه[٦]؛ قال:

وَسْوَسَ يَـدْعُـو مُـخْـلِـصًـا رَبَّ الـفَـلَـقْ سِـرًّا وقـدْ أَوَّنَ تَـأْوِيـنَ الـعُـقُـقْ[٧]

قلت: هذا القول يشهد له الاشتقاق؛ فإن الفَلْق الشّق، فَلَقْت الشيء فَلْقاً، أي:

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/٣١٣ .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧٤ . وما بعده منه.

(٣) ديوان زهير ص ٣٥ .

(٤) ديوان النابغة ص ٧٩ ، وصدره: وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه. والضواجع: منحنى الوادي. القاموس (ضجع)

(٥) الصحاح (ركس).

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٧٤ .

(٧) الرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص ١٠٨ . والتأوين: امتلاء البطن، والعُقُق: جمع عَقوق، وهي الحامل. والراجز يصف أُتُناً وردت الماء فشربت حتى امتلأت خواصرها. اللسان (أون).

شققته. والتفليق مثله. يقال: فَلَقْته فانفلق وتَفَلَّق. فكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونَوًى وماء فهو فَلَق؛ قال الله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] قال: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰٓ﴾ [الأنعام: ٩٥]. وقال ذو الرُّمّة يصف الثورَ الوَحْشِيّ:

حَتَّى إذَا ما انجَلَى عن وجهِه فَلَقٌ ... هادِيهِ في أُخْرَيَاتِ اللَّيلِ مُنْتَصِبُ[١]

يعني بالفلق هنا: الصبح بعينه. والفلق أيضاً: المطمئنُّ من الأرض بين الرَّبوتين، وجمعه: فُلْقان، مثل خَلَق وخُلْقان. وربما قالوا: كان ذلك بفالق كذا وكذا، يريدون المكانَ المنحدر بين الربوتين. والفَلَق أيضًا مِقطرة[٢] السَّجان. فأما الفِلْق ـ بالكسر ـ: فالداهية والأمر العجب؛ تقول منه: أفلق الرجلُ وافتلق. وشاعر مُفْلِق، وقد جاء بالفِلْق. والفِلْق أيضاً: القضيب يُشَقُّ باثنين، فيعمل منه قَوْسان؛ يقال لكل واحدة منهما: فِلْق. وقولهم: جاء بعُلَقَ فُلَقَ ـ وهي الداهية ـ لا تُجْرى[٣]. يقال منه: أعلقت وأفلقت، أي: جئت بعُلَق فُلَق. ومرَّ يفتلق في عَدْوِه، أي: يأتي بالعجب من شدَّتِه[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ قيل: هو إبليس وذُرِّيته. وقيل: جهنم. وقيل: هو عامٌّ، أي: من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ خلقَه الله عزَّ وجلَّ[٥].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ اختُلف فيه؛ فقيل: هو الليل. والغَسَق: أولُ ظُلمةِ الليل؛ يقال منه: غَسَقَ الليلُ يَغْسِق، أي: أظلم[٦]. قال ابن قيس الرقيات:

إنَّ هـذا الـلـيـلَ قـد غَـسَـقـا ... واشْـتَـكَـيْـتُ الـهَـمَّ والأَرَقـا[٧]

---

(١) ديوان ذي الرمة ١/ ٩٢ ، وفيه: حتى إذا ما جلا.. وهي الرواية الصحيحة فيما قاله ابن بري، كما في اللسان (فلق). وقوله: هاديه، أي: أوله. شرح الديوان لأبي نصر الباهلي.

(٢) المِقْطرة: خشبة فيها خروق تُدخَل فيها أرجل المحبوسين. الصحاح (قطر).

(٣) أي: لا تنصرف.

(٤) الصحاح (فلق).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٧٤ .

(٦) الصحاح (غسق).

(٧) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيَّات ص ١٨٧ .

وقال آخر:

يا طيفَ هندٍ لقد أبْقَيت لي أرَقاً إذْ جِئتَنا طارِقًا والليلُ قَدْ غَسَقا[١]

هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسُّدّي وغيرِهم. و«وَقَبَ» على هذا التفسير: أظلم؛ قاله ابن عباس. والضحاك: دَخَلَ. قتادة: ذَهَبَ. يَمانُ بن رِئاب: سَكَن. وقيل: نزل؛ يقال: وَقَب العذابُ على الكافرين: نَزَلَ؛ قال الشاعر:

وَقَبَ العذابُ عليهمُ فكأنَّهُمْ لَحِقَتْهُمْ نارُ السَّمُومِ فأُحْصِدُوا[٢]

وقال الزجاج[٣]: قيل: الليل غاسق لأنه أبردُ من النهار. والغاسق: البارد. والغَسَق: البرد؛ ولأن في الليل تخرج السِّباع من آجامها، والهوامُّ من أماكنها، وينبعث أهلُ الشرِّ على العيث والفساد. وقيل: الغاسق: الثُّرَيَّا؛ وذلك أنها إذا سقطت كَثُرتِ الأسقامُ والطواعين، وإذا طلعت ارتفع ذلك؛ قاله عبد الرحمن بن زيد. وقيل: هو الشمس إذا غربت؛ قاله ابن شهاب.

وقيل: هو القمر[٤]. قال القُتَبِيّ[٥]: «إذا وقب» القمر: إذا دخل في ساهوره، وهو كالغلاف له، وذلك إذا خُسِفَ به. وكلُّ شيء أسودُ فهو غَسَق. وقال قتادة: «إذا وَقَبَ»: إذا غابَ. وهو أصحُّ؛ لأن في الترمذيّ عن عائشة: أن النبيّ ﷺ نظر إلى القمر، فقال: «يا عائشة، استعيذي بالله من شرِّ هذا، فإن هذا هو الغاسقُ إذا وقَبَ». قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح[٦].

وقال أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي في تأويل هذا الحديث: وذلك أن

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧٥، والأقوال التي بعده منه.

(٢) ذكره السمين في الدر المصون ١١/ ١٥٩.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٣٧٩.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٧٥.

(٥) في تفسير غريب القرآن ص ٥٤٣، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨.

(٦) سنن الترمذي (٣٣٦٦)، وأخرجه أحمد (٢٥٨٠٢).

أهل الرِّيَب يتحيَّنون وَجبة القمر، وأنشد:

أراحني اللهُ مِن أشياءَ أكرهُها … منها العجوزُ ومنها الكلبُ والقمرُ
هذا يبوحُ وهذا يستضاءُ به … وهذه ضِمْرِزٌ قوَّامةُ السَّحَرِ[(١)]

وقيل: الغاسق: الحية إذا لدغت. وكأن الغاسق نابُها؛ لأن السمَّ يغسق منه، أي: يسيل. ووقب نابها: إذا دخل في اللَّدِيغ. وقيل: الغاسق: كل هاجم يضرّ، كائناً ما كان؛ من قولهم: غسقت القرحة: إذا جرى صديدُها.

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ يعني الساحرات اللائي ينفُثْن في عُقَد الخيط حين يَرْقِينَ عليها، شبه النفخ كما يعمل مَن يرقي. قال الشاعر:

أُعُوذُ بِربِّي مِنَ النَّافِثَا … تِ في عِضَهِ العاضِهِ المُعْضِه[(٢)]

وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرة:

نَفَثْت في الخيطِ شَبِيهَ الرُّقَى … مِن خشيةِ الجِنَّة والحاسِدِ[(٣)]

وقال عنترة:

فإنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفُث عَلَيهِ … وإنْ يُفْقَدْ فَحُقَّ له الفُقُودُ[(٤)]

السابعة: روى النَّسائي عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من عَقَدَ عُقدة ثم نَفَثَ فيها، فقد سَحَر، ومَن سَحَرَ فقد أَشْرَكَ، ومَنْ تَعَلَّق شيئاً وُكِل إليه»[(٥)].

---

(١) ذكرهما الجاحظ في المحاسن والأضداد ص ١٧٢، وابن الجوزي في أخبار النساء ص ١٤٩، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) ذكره الماوردي النكت والعيون ٦/ ٣٧٥، والعِضَه: السِّحر، والعاضه: الساحر. اللسان (عضه) والبيت فيه.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧٥.

(٤) ديوان عنترة ص ٤٢. وسلف ١٣/ ١٥٩.

(٥) سنن النسائي ٨/ ١١٢. وفي إسناده عبّاد بن ميسرة، ضعّفه أحمد ويحيى، قال الذهبي في الميزان ٢/ ٣٧٨: هذا الحديث لا يصح للينِ عبّاد وانقطاعه. اهـ. وقوله: «تعلّق شيئاً» أي: من علّق على نفسه شيئاً من التعاويذ والتمائم معتقداً أنها تجلب إليه نفعاً أو تدفع ضرًّا. النهاية (علق).

واختلِف في النفْث عند الرُّقَى، فمنعه قوم، وأجازه آخرون. قال عكرمة: لا ينبغي للراقي أن ينفُث، ولا يمسح ولا يعقِد. قال إبراهيم: كانوا يكرهون النَّفث في الرُّقَى. وقال بعضهم: دخلت على الضحاك وهو وَجِعٌ، فقلت: ألا أُعَوِّذكَ يا أبا محمد؟ قال: بلى، ولكن لا تنفث؛ فعوَّذتُه بالمعوذتين. وقال ابنُ جريج: قلت لعطاء: القرآن يُنفَخ به أو يُنْفَثُ؟ قال: لا شيء من ذلك، ولكن تقرؤه هكذا. ثم قال بعد: انفُث إن شئت. وسُئل محمد بن سِيرين عن الرُّقية يُنْفث فيها، فقال: لا أَعلم بها بأساً[١]. وإذا اختلفوا فالحاكم بينهم السُّنة؛ روت عائشة أن النبيّ ﷺ كان ينفث في الرُّقية؛ رواه الأئمة، وقد ذكرناه أوّل السورة وفي «سُبْحان»[٢].

وعن محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتَتْ به أُمُّه النبيَّ ﷺ، فجعل ينفُث عليها ويتكلَّم بكلام؛ زعم أنه لم يحفظه[٣]. وقال محمد بن الأشعث: ذُهِب بي إلى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء، فرقَتْني وَنَفَثَت[٤].

وأما ما رُوي عن عكرمة من قوله: لا ينبغي للراقي أن ينفُث؛ فكأنه ذهب فيه إلى أن الله تعالى جعل النفْث في العُقَد مما يُستعاذ به، فلا يكون بنفسه عُوذة. وليس هذا هكذا؛ لأن النفث في العُقَد إذا كان مذموماً لم يجب أن يكون النفث بلا عُقد مذموماً. ولأن النفث في العُقَد إنما أُريد به السحر المُضِرّ بالأرواح، وهذا النفث لاستصلاح الأبدان، فلا يُقاس ما ينفع بما يضر[٥]. وأما كراهة عكرمة المسحَ فخلاف السنة. قال علي ﷺ: اشتكيت، فدخل عليَّ النبيُّ ﷺ وأنا أقول: اللهمَّ إنْ كان أجلي قد حَضَر فأَرِحني، وإن كان متأخِّراً فاشفني وعافني، وإن كان بلاءً فصبِّرني. فقال النبيّ ﷺ:

---

(١) الاستذكار ٢٧/ ٣٠ - ٣١، ما عدا قول ابن جريج.

(٢) ١٣/ ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٤٣ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٤ وفيه: قيس بن محمد بن الأشعث بدل: محمد بن الأشعث.

(٥) التمهيد ٨/ ١٣٣ بنحوه.

«كيف قلت»؟ فقلت له. فَمَسحني بيده، ثم قال: «اللهم اشْفِه» فما عاد ذلك الوجع بعد[١].

وقرأ عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر ورُويس عن يعقوب: «ومِن شرِّ النافثاتِ» في وزن فاعلات. ورُوِيت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[٢]. ورُوي أن نساءً سَحَرْنَ النبيَّ ﷺ في إحدى عشرة عقدةً؛ فأنزل الله المعوِّذتين إحدى عشرة آية. قال ابن زيد: كُنَّ من اليهود؛ يعني السواحر المذكورات. وقيل: هنّ بنات لَبِيد بن الأعصم[٣].

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قد تقدم في سورة «النساء» معنى الحسد[٤]، وأنه تمنِّي زوالِ نعمة المحسود وإن لم يَصِرْ للحاسد مثلُها. والمنافسة هي تمني مثلَها وإن لم تزل. فالحسدُ شرٌّ مذموم. والمنافسة مباحةٌ، وهي الغِبطة. وقد روي أن النبيَّ ﷺ قال: «المؤمن يَغْبِطُ، والمنافق يَحْسُد»[٥]. وفي «الصحيحين»: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين»[٦] يريد: لا غِبْطَةَ. وقد مضى في سورة «النساء»[٧] والحمد لله.

قلت: قال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسدُه بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسدُ على إيقاع الشرِّ بالمحسود، فيَتْبع مساوئه ويطلب عَثَراته. قال ﷺ: «إذا

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٥٧).

(٢) القراءات الشاذة ص ١٨٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٩ ، وهي غير المشهورة عن رويس.

(٣) تفسير البغوي ٥/ ٥٤٧ ، وزاد المسير ٩/ ٢٧٥ .

(٤) ٦/ ٤١٥ وما بعدها، وتقدم أيضاً في البقرة ٢/ ٣١٣ وما بعدها.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٧٦ - ٣٧٧ ، والحديث ذكره ملا علي القاري في المصنوع (٢٦٨) من كلام الفضيل بن عياض.

(٦) صحيح البخاري (٧٣)، وصحيح مسلم (٨١٦)، وأخرجه أحمد (٣٦٥١)، وفي الباب عن عدد من الصحابة تنظر في مسند أحمد.

(٧) سلف في سورة النساء الكلام عن الحسد ـ كما ذكر المصنف قريباً ـ دون ذكر الحديث.

حَسَدت فلا تَبْغِ» الحديث. وقد تقدم[١]. والحسد أوّلُ ذنب عُصِي الله به في السماء، وأولُ ذنب عُصِي به في الأرض، فحسَدَ إبليس آدمَ، وحسد قابيلُ هابيلَ. والحاسدُ ممقوتٌ مَبْغوض مطرود ملعون. ولقد أحسن من قال:

قـل لـلـحـسـود إذا تـنـفَّـسَ طَـعْـنـةً يـا ظـالـمًـا وكـأنـهُ مَـظْـلُـومُ[٢]

التاسعة: هذه سورة دالَّةٌ على أن الله سبحانه خالقُ كلِّ شرٍّ، وأمر نبيَّه ﷺ أن يتعوَّذ من جميع الشرور. فقال: «مِنْ شرِّ ما خَلَقَ». وجعل خاتمة ذلك الحسد، تنبيهاً على عِظمه، وكثرة ضرره. والحاسد عدوُّ نعمة الله.

قال بعض الحكماء: بارزَ الحاسد ربه من خمسة أوجه: أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. وثانيها: أنه ساخطٌ لِقسمة ربِّه، كأنه يقول: لِمَ قسمتَ هذه القسمة. وثالثها: أنه ضادَّ فعلَ الله، أي: إنَّ فضلَ الله يُؤتِيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله. ورابعها: أنه خذل أولياء الله، أو يريد خِذلانهم وزوال النعمة عنهم. وخامسها: أنه أعان عدوَّه إبليس.

وقيل: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامةً، ولا ينال عند الملائكة إلا لَعنةً وبَغْضاء، ولا ينال في الخَلْوة إلا جَزَعاً وغمًّا، ولا ينال في الآخرة إلا حُزْناً واحتراقاً، ولا ينال من الله إلا بُعداً ومَقْتاً.

ورُوي أن النبيَّ ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يُستجاب دعاؤهم: آكلُ الحرام، ومُكثِرُ الغِيبة، ومن كان في قلبه غِلٌّ أو حَسَدٌ للمسلمين»[٣]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) ١٩/٣٩٨، والحديث ضعيف، وينظر تخريجه فيما سلف.

(٢) قائله ابن المعتز، وهو في ديوانه ص ٣٦٤، وفيه: صعدة، بدل: طعنة.

(٣) لم نقف عليه.

تفسير سورتى المعوذتين

وهما مدنيتان .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عاصم بن بَهْدَلة ، عن زر بن حُبَيش قال : قلت لأبى بن كعب : إن ابن مسعود [كان] [١] لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرنى أن جبريل ، عليه السلام ، قال له : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ فقلتها، قال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فقلتها . فنحن نقول ما قال النبى ﷺ [٢] ، [٣].

ورواه أبو بكر الحُميدى فى مسنده ، عن سفيان بن عيينة ،حدثنا عبدة بن أبى لُبَابة وعاصم بن بهدلة ، أنهما سمعا زر بن حبيش قال : سألتُ أبى بن كعب عن المعوذتين ، فقلت : يا أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يَحُكهما من المصحف . فقال : إنى سألت رسول الله ﷺ ، فقال : « قيل [٤] لى : قل ، فقلت » . فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ [٥] .

وقال أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر قال : سألتُ ابنَ مسعود عن المعوذتين فقال : سألتُ النبى ﷺ عنهما فقال : « قيل لى ، فقلت لكم ، فقولوا » . قال أبى : فقال لنا النبى ﷺ فنحن نقول [٦] .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ،حدثنا سفيان ، حدثنا عَبدَةُ بن أبى لُبَابة ، عن زر بن حُبَيش ــ وحدثنا عاصم عن زر ــ قال : سألت أبى بن كعب فقلت : أبا المنذر ،إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا . فقال : إنى سألت النبى ﷺ فقال : « قيل لى ، فقلت » . فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ [٧].

ورواه البخارى أيضاً والنسائى ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبدة وعاصم بن أبى النجود ، عن زر بن حبيش ، عن أبى بن كعب ، به [٨] .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الأزرق بن على ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا الصَّلْت بن بَهرَام ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : كان عبد الله يَحُك المعوذتين من المصحف ، ويقول : إنما

(١) زيادة من المسند .
(٢) فى م : « عليه السلام » .
(٣) المسند (٥/ ١٢٩) .
(٤) فى م : « قال » .
(٥) مسند الحميدى (١/ ١٨٥) .
(٦) المسند (٥/ ١٢٩) .
(٧) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٧) .
(٨) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٦) .

أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما [(١)] .

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن [(٢)] بن يزيد قال : كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه، ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله ــ قال الأعمش: وحدثنا عاصم، عن زر بن حبيش ، عن أبي بن كعب قال : سألنا عنهما رسول الله ﷺ ، قال : «قيل لي ، فقلت » [(٣)].

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة ، رضي الله عنهم ، كتبوهما [(٤)] في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ، ولله الحمد والمنة .

وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن قيس بن أبي حَازم ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ » [(٥)] .

ورواه أحمد ، ومسلم أيضا ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عقبة ، به [(٦)]. وقال الترمذي : حسن صحيح .

طريق أخرى : قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن عقبة بن عامر قال : بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نَقَب من تلك النقاب ، إذ قال لي : « يا عقبة ، ألا تَركب ؟ » . قال : [فَأجْلَلْتُ رسول الله ﷺ أن أركب مركبه . ثم قال : «يا عُقيب ، ألا تركب ؟ » . قال] [(٧)] فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيهة ، ثم ركب ، ثم قال : « يا عُقيب ، ألا أُعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » . قلت : بلى يا رسول الله . فأقرأني : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ . ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ، ثم مر بي فقال : « كيف رأيت يا عقيب [(٨)]، اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » .

ورواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن ابن جابر، به [(٩)].

---

(١) ورواه البزار في مسنده برقم (٢٣٠١) ، من طريق محمد بن أبي يعقوب ، عن حسان بن إبراهيم به ، وقال البزار : « وهذا لم يتابع عبد الله عليه أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة، وأثبتا في المصحف ».

(٢) في م : « عن عبد الله » .

(٣) زوائد المسند (٥/١٢٩) .

(٤) في م : « أتبعوهما » .

(٥) صحيح مسلم برقم (٨١٤) .

(٦) المسند (٤/١٤٤) وصحيح مسلم برقم (٨١٤) ، وسنن الترمذي برقم (٢٩٠٢) وسنن النسائي (٢/١٥٨) .

(٧) زيادة من المسند .

(٨) في م : « يا عقب » .

(٩) المسند (٤/١٤٤) وسنن النسائي (٨/٢٥٣) .

ورواه أبو داود والنسائى أيضاً ، من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عقبة ،به [(١)] .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن أبى أيوب ، حدثنى يزيد ابن عبد العزيز الرعينى وأبو مرحوم ، عن يزيد بن محمد القرشى ، عن على بن رباح ، عن عقبة بن عامر قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات فى دبر كل صلاة .

ورواه أبو داود والترمذى والنسائى،من طرق،عن على بن رباح [(٢)]. وقال الترمذى : غريب.

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا يحيى [(٣)] بن إسحاق ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن مشرَح بن هاعان ، عن عقبة بن عامر قال : قال لى رسول الله ﷺ : « اقرأ بالمعوذتين ، فإنك لن تقرأ بمثلهما». تفرد به أحمد [(٤)].

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا حيوة بن شُرَيْح ، حدثنا بَقِيَّة ، حدثنا بَحير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن جُبَير بن نُفَير ، عن عقبة بن عامر أنه قال : إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء ، فركبها فأخذ عقبة يقودها له ، فقال رسول الله ﷺ [(٥)] : « اقرأ ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ » . فأعادها له حتى قرأها ،فعرف أنى لم أفرح بها جداً ، فقال : « لعلك تهاونت بها ؟ فما قمت تصلى بشىء مثلها » .

ورواه النسائى عن عمرو بن عثمان ، عن بقية ، به [(٦)]. ورواه النسائى أيضاً من حديث الثورى، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين ، فذكر نحوه [(٧)] .

طريق أخرى : قال النسائى : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، سمعت النعمان ، عن زياد أبى الأسد ، عن عقبة بن عامر ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين : ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ » [(٨)].

طريق أخرى : قال النسائى : أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ،عن ابن عجلان ،عن سعيد المقبرى ، عن عقبة بن عامر قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ فقال : « يا عقبة ، قل » . فقلت : ماذا أقول ؟ فسكت عنى ، ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله ؟ فسكت عنى ، فقلت : اللهم ، أردده على .فقال : « يا عقبة ، قل » . قلت:ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال :« ﴿ **قُلْ أَعُوذُ**

(١) سنن النسائى (٨/ ٢٥٢،٢٥٣) وسنن أبى داود برقم(١٤٦٢) .

(٢) المسند (٤/ ١٥٥) وسنن أبى داود برقم (١٥٢٣) ، وسنن الترمذى برقم (٢٩٠٣) وسنن النسائى (٣/ ٦٨) .

(٣) فى م ، أ : « حدثنا محمد » .

(٤) المسند (٤/ ١٤٦) .

(٥) فى م ، أ : « فقال رسول الله ﷺ لعقبة » .

(٦) المسند (٤/ ١٤٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٤٣،٧٨٤٤) .

(٧) سنن النسائى (٨/ ٢٥٢) .

(٨) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٥٦) .

بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ »، فقرأتها حتى أتيت على آخرها ،ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ »، فقرأتها حتى أتيت على آخرها ،ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « ما سأل سائل بمثلهما ، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما » (١) .

طريق أخرى : قال النسائى: أخبرنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ،حدثنا معاوية ، عن العلاء بن الحارث،عن مكحول ،عن عقبة بن عامر :أن رسول الله ﷺ قرأ بهما فى صلاة الصبح(٢) .

طريق أخرى : قال النسائى : أخبرنا قتيبة ،حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى عمران أسلم ، عن عقبة بن عامر قال : اتبعت (٣) رسول الله ﷺ وهو راكب ، فوضعت يدى على قدمه (٤) فقلت : أقرئنى سورة هود أو سورة يوسف . فقال : « لن تقرأ شيئاً أنفع (٥) عند الله من ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ » (٦) .

حديث (٧) آخر : قال النسائى : أخبرنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبى عبد الله ، عن ابن عائش(٨) الجهنى : أن النبى ﷺ قال له : « يا ابن عائش ، ألا أدلك ــ أو : ألا أخبرك ــ بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون ؟ » . قال : بلى ، يا رسول الله . قال : « ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ،هاتان السورتان» (٩).

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه ، تفيد القطع عند كثير من المحققين فى الحديث .

وقد تقدم فى رواية صُدَىّ بن عجلان ، وفَرْوَةَ بن مُجَاهد ، عنه : « ألا أعلمك ثلاثَ سُوَر لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان (١٠) مثلهن؟ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ».

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا الجريرى ، عن أبى العلاء قال : قال رجل : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ،والناس يعتقبون ، وفى الظهر قلة ، فحانت نَزْلَة رسول الله ﷺ ونزلتى ، فلحقنى فضرب [من بعدى] (١١) منكبى، فقال: « ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ »، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه ،ثم قال : «﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾» ، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، فقال : « إذا صليت فاقرأ بهما » (١٢) .

---

(١) سنن النسائى (٨/ ٢٥٣) .
(٢) سنن النسائى (٨/ ٢٥٢) .
(٣) فى م : « أتيت » .
(٤) فى م ، أ : « على قدميه » .
(٥) فى م : « أبلغ » .
(٦) سنن النسائى (٨/ ٢٥٤) .
(٧) فى أ : « طريق » .
(٨) فى أ : « عباس » .
(٩) سنن النسائى (٨/ ٢٥١) .
(١٠) فى أ : « فى القرآن » .
(١١) زيادة من المسند .
(١٢) المسند (٥/ ٢٤) .

الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر ، والله أعلم .

ورواه النسائى عن يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن علية ، به(١) .

حديث آخر : قال النسائى : أخبرنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن سعيد ، حدثنى يزيد بن رومان ، عن عقبة بن عامر ، عن عبد الله الأسلمى ـ هو ابن أنيس ـ : أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال : « قل » . فلم أدر ما أقول ، ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ . ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ ، حتى فرغت منها ، ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ ، حتى فرغت منها . فقال رسول الله ﷺ : « هكذا فَتَعَوَّذْ (٢)، ما تعوذَ المتعوذون بمثلهن قط »(٣).

حديث آخر : قال النسائى : أخبرنا عمرو بن على أبو حفص ، حدثنا بَدَل ، حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة ، عن سعيد الجُرَيرى ، حدثنا أبو نَضْرة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال لى رسول الله ﷺ : « اقرأ يا جابر » . قلت : وما أقرأ بأبى أنت وأمى ؟ قال : « اقرأ ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ ». فقرأتهما ، فقال : « اقرأ بهما ، ولن تقرأ بمثلهما » (٤) .

وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن ، وينفث فى كفيه ،ويمسح بهما رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده .

وقال الإمام مالك:عن ابن شهاب ، عن عُرْوَة ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه،رجاء بركتها .

ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن القعنبى ، والنسائى عن قتيبة ـ ومن حديث ابن القاسم ، وعيسى بن يونس ـ وابن ماجة من حديث معن وبشر بن عُمَر،ثمانيتهم عن مالك ،به (٥).

وتقدم فى آخر سورة : ﴿ن﴾، من حديث أبى نضرة ، عن أبى سعيد : أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان ،فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما ، وترك ما سواهما . رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، وقال الترمذى : حديث حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)** ﴾ .

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٥٩) .

(٢) فى م : « فتعوذوا » .

(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٤٥) .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٥٤) .

(٥) الموطأ (٢/ ٩٤٢) وصحيح البخارى برقم (٥٠١٦) وصحيح مسلم برقم (٢١٩٢) وسنن أبى داود برقم (٣٩٠٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (٧٥٤٤،٧٥٤٩، ١٠٨٤٧) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٩) .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمدبن عصام ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ،حدثنا حسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : الفلق : الصبح .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : الصبح . ورُوى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظى ، وابن زيد ، ومالك عن زيد بن أسلم ،مثل هذا .

قال القرظى ، وابن زيد ، وابن جرير : وهى كقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام:٩٦] .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : الخلق . وكذا قال الضحاك : أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله .

وقال كعب الأحبار : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : بيت فى جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، ورواه ابن أبى حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبى ، حدثنا سهيل بن عثمان ، عن رجل سماه ، عن السدى ، عن زيد بن على ، عن آبائه أنهم قالوا : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : جب فى قعر جهنم ، عليه غطاء ، فإذا كشف عنه خرجت منا (١) نار تصيح منه جهنم ، من شدة حر ما يخرج منه .

وكذا رُوى عن عمرو بن عَبَسَةَ (٢)، والسدى ، وغيرهم . وقد ورد فى ذلك حديثٌ مرفوع منكر، فقال ابن جرير :

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى ، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطى ، حدثنا نصر ابن خزيمة الخراسانى ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن أبى هُريرة ، عن النبى ﷺ قال : « ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : جُبّ فى جهنم مغطى » (٣) إسناده (٤) غريب ولا يصح رفعه .

وقال أبو عبد الرحمن الحبلى : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ :من أسماء جهنم .

قال ابن جرير : والصواب القول الأول ، أنه فلق الصبح . وهذا هو الصحيح ،وهو اختيار البخارى ، رحمه الله ، فى صحيحه (٥) .

وقوله : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أى : من شر جميع المخلوقات . وقال ثابت البنانى ، والحسن البصرى : جهنم وإبليس وذريته مما خلق .

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ، قال مجاهد : غاسقُ الليلُ إذا وقبَ غُروبُ الشمس . حكاه البخارى عنه . ورواه ابن أبى نَجيح ، عنه . وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظى ، والضحاك ، وخُصَيف ، والحسن ، وقتادة : إنه الليل إذا أقبل بظلامه .

---

(١) فى م ، أ : « خرجت منه » .
(٢) فى أ : « عنبسة » .
(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٥) .
(٤) فى م : « إسناد » .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٥) وصحيح البخارى (٨/ ٧٤١) « فتح » .

وقال الزهرى : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ : الشمس إذا غربت . وعن عطية وقتادة : إذا وقب الليل : إذا ذهب . وقال أبو المهزم ، عن أبى هريرة : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ :كوكب . وقال ابن زيد : كانت العرب تقول : الغاسق سقوط الثريا ، وكان[1] الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها .

قال ابن جرير :ولهؤلاء من الأثر ما حدثنى : نصر بن على ، حدثنى بكار بن عبد الله ـــ ابن أخى همام ـــ حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن أبى سلمة ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ : « ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال : النجم الغاسق» [2] .

قلت : وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبى ﷺ .

قال ابن جرير : وقال آخرون : هو القمر .

قلت : وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا أبو داود الحَفرى ، عن ابن أبى ذئب ، عن الحارث ،عن أبى سلمة قال : قالت عائشة ، رضى الله عنها : أخذ رسول الله ﷺ بيدى ، فأرانى القمر حين يطلع ، وقال : « تَعوَّذِى بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب » .

ورواه الترمذى والنسائى ، فى كتابى التفسير من سننيهما ، من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ذئب ، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن ،به [3] . وقال الترمذى:حسن صحيح . ولفظه : « تعوذى بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب » . ولفظ النسائى : « تعوَّذى بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب » .

قال أصحاب القول الأول وهو أنه الليل إذا ولج ـــ : هذا لا ينافى قولنا ؛ لأن القمر آيةُ الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه ،وكذلك النجوم لا تضىء ، إلا فى الليل ، فهو يرجع إلى ما قلناه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ ﴾ ، قال مجاهد ، وعكرمة ،والحسن ، وقتادة والضحاك: يعنى : السواحر ـــ قال مجاهد : إذا رقين ونفثن فى العقد .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : ما من شىء أقرب من [4] الشرك من رقية الحية والمجانين[5] .

وفى الحديث الآخر : أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ؟ فقال : «نعم». فقال :باسم الله أرْقِيك ،من كل داء يؤذيك،ومن شر كل حاسد وعين ،الله يشفيك [6] .

(١) فى م : « وكانت » .
(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٧) .
(٣) المسند (٦/ ٦١) وسنن الترمذى برقم (٣٣٦٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠١٣٨) .
(٤) فى أ : « إلى » .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٧) .
(٦) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢١٨٦) من حديث أبى سعيد ، رضى الله عنه .

ولعل هذا كان من شكواه ، عليه السلام ، حين سحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ، ورد كيد السحرَة الحسَّاد من اليهود فى رؤوسهم ، وجعل تدميرهم فى تدبيرهم ، وفضحهم ، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوما من الدهر ، بل كفى الله وشفى وعافى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن حَيَّان ، عن زيد بن أرقم قال : سحر النبى ﷺ رجلٌ من اليهود ، فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ،عقد لك عُقَداً فى بئر كذا وكذا ، فَأرْسِل إليها من يجىء بها . فبعث رسول الله ﷺ [علياً ، رضى الله تعالى عنه] (١) فاستخرجها ، فجاء بها فحللها (٢) ، قال : فقام رسول الله ﷺ كأنما نَشط من عقال ، فما ذكر ذلك لليهودى ولا رآه فى وجهه [قط] (٣) حتى مات .

ورواه النسائى عن هنَّاد ، عن أبى معاوية محمد بن حَازم الضرير (٤) .

وقال البخارى فى « كتاب الطب » من صحيحه : حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت سفيان ابن عيينة يقول : أول من حدثنا به ابنُ جُرَيْج ، يقول : حدثنى آل عُرْوَة ، عن عروة ، فسألت هشاما عنه ، فحدثَنا عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ سُحر ، حتى كان يُرَى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ــ قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا ــ فقال : « يا عائشة ، أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيتُه فيه ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طَبَّه ؟ قال: لَبيد بن أعصم ــ رجل من بنى زُرَيق حَليف ليهُودَ ، كان منافقاً ــ قال : وفيم ؟ قال : فى مُشط ومُشاقة . قال : وأين ؟ قال : فى جُف طَلْعَة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذَرْوَان » . قالت : فأتى [النبى ﷺ] (٥) البئر حتى استخرجه فقال : « هذه البئر التى أريتها ، وكأن ماءها نُقَاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين » . قال : فاستخرج (٦) . [قالت] (٧). فقلت : أفلا ؟ أى : تَنَشَّرْتَ؟ فقال : « أمَّا اللهُ فقد شفانى ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً » (٨) .

وأسنده من حديث عيسى بن يونس ، وأبى ضَمْرة أنس بن عياض ، وأبى أسامة ، ويحيى القطان وفيه : « قالت : حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يفعله » . وعنده : « فأمر بالبئر فدفنت » . وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبى الزّناد والليث بن سعد (٩) .

وقد رواه مسلم ، من حديث أبى أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير . ورواه أحمد ، عن

---

(١) زيادة من المسند .

(٢) فى م : « فحلها » .

(٣) زيادة من المسند .

(٤) المسند (٤/ ٣٦٧) وسنن النسائى (٧/ ١١٢) .

(٥) زيادة من صحيح البخارى .

(٦) فى أ : « فاستخرجه » .

(٧)زيادة من صحيح البخارى .

(٨) صحيح البخارى برقم (٥٧٦٥) .

(٩) صحيح البخارى برقم (٥٨٦٣،٦٣٩١،٥٧٦٦) .

عفان ، عن وُهَيب [١] ، عن هشام ، به [٢] .

ورواه الإمام أحمد أيضاً عن إبراهيم بن خالد ، عن رباح ، عن مَعْمَر ، عن هشَام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يُرى أنه يأتى ولا يأتى ، فأتاه ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث [٣].

وقال الأستاذ المفسر الثعلبى فى تفسيره : قال ابن عباس وعائشة ، رضى الله عنهما : كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبَّت إليه اليهود ،فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطة رأس النبى ﷺ وعدة أسنان من مُشطه ، فأعطاها اليهود ، فسحروه فيها . وكان الذى تولى ذلك رجل منهم ــ يقال له : [لبيد] [٤] بن أعصم ــ ثم دسها فى بئر لبنى زُرِيَق ، يقال لها : ذَرْوان ، فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ،ولبث سته أشهر يُرَى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ،وجعل يَذُوب ولا يدرى ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فَقَعَد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : ما بال الرجل ؟ قال : طُبَّ . قال : وما طُبَّ ؟ قال : سحر . قال : ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودى . قال : وبم طَبَّه ؟ قال : بمشط ومشاطة . قال : وأين هو ؟ قال : فى جُفَّ طلعة تحت راعوفة فى بئر ذَرْوَان ــ والجف : قشر الطلع ، والراعوفة : حجر فى أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح ــ فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً ، وقال : « يا عائشة ، أما شعرت أن الله أخبرنى بدائى ؟ » . ثم بعث رسول الله ﷺ عليا والزبير وعمار بن ياسر ، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة ،وأخرجوا الجف ،فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه ، وإذا فيه وتر معقود ، فيه اثنتا عشرة [٥] عقدة مغروزة بالإبر . فأنزل الله تعالى السورتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الآخيرة ، فقام كأنما نَشطَ من عقال ، وجعل جبريل ، عليه السلام ،يقول : باسم الله أرْقيك ، من كل شر يؤذيك ، من حاسد وعين الله يشفيك . فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نأخذ الخَبيث نقتله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أما أنا فقد شفانى الله ، وأكره أن يثير على الناس شراً » [٦] .

هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة ، وفى بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم ، والله أعلم .

---

(١) فى م : « وهب » .
(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٨٩) والمسند (٦/ ٩٦) .
(٣) المسند (٦/ ٦٣) .
(٤) زيادة من م ، أ .
(٥) فى م ، أ : « فيه اثنا عشر » .
(٦) الكشف والبيان للثعلبى (ق١٩٤ المحمودية » .

سورة الفلق

مدنيّة،[1] وهي خمس آياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصّبح كـ"الفَرَق"؛ لأنّه يُفلَق عنه الليل ويُفرَق، "فَعَلٌ" بمعنى "مفعول"، فإنّ كلّ واحد مِن المفلوق والمفلوق عنه مفعول. وقيل: هو ما انفلق مِن عموده. وقيل: هو كلّ ما يُفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحبّ والنّوى عمّا يخرج منهما، وغيرِ ذلك.[2]

وفي تعليق العياذ باسم الربّ المضاف إلى الفَلَق المنبئ عن النور عَقيب الظلمة والسَّعة بعد الضيق والفَتْق بعد الرَّتْق عِدَةٌ كريمة بإعاذة العائذ ممّا يعوذ منه وإنجائه منه، وتقويةٌ لرجائه بتذكير بعضِ نظائره، ومزيدُ ترغيب له في الجِدّ والاعتناءِ بقَرْع باب الالتجاء إليه تعالى. وأمّا الإشعارُ بأنّ مَن قدَر أن يزيل ظلمةَ الليل مِن هذا العالم قدَر أن يُزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل،[3] فلا؛ إذ لا ريبَ للعائذ في قدرته تعالى على ذلك حتّى يحتاج إلى التنبيه عليها.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: مِن شرّ ما خَلَقه مِن الثقلين وغيرهم كائنًا ما كان مِن ذوات الطبائع والاختيار، وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور. فمَن توهّم أنّ الاستعاذة ههنا مِن المضارّ البدنيّة، وأنّها تعمّ الإنسان وغيره ممّا ليس بصدَد الاستعاذة،

---

[1] س: مختلف فيها.

[2] القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٦٢٣.

[3] كما في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٥٨٥.

ثمّ جَعَل عمومها مدارًا لإضافة الربّ إلى ﴿ٱلۡفَلَقِ﴾،[1] فقد نأى عن الحقّ بمراحل. وإضافة "الشرّ" إليه لاختصاصه بعالم الخَلْق المؤسَّس على امتزاج الموادّ المتباينة، وتفاعل كيفيّاتها المتضادّة المستتبعة للكون والفساد، وأمّا عالم الأمر فهو خير محض منزَّه عن شوائب الشرّ بالمرّة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ تخصيص لبعض الشرور بالذِّكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه، ولأنّ تعيين المستعاذ منه أدلّ على الاعتناء بالاستعاذة / وأدعى إلى الإعاذة، أي: ومِن شرّ ليل معتكر [٣٢٧ظ] ظلامُه، مِن قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء، ٧٨/١٧]، وأصل الغَسَق الامتلاء، يقال: "غَسَقت العين" إذا امتلأت دمعًا. وقيل: هو السيلان.[2] وغسَقُ الليل: انصبابُ ظلامه. وغسَقُ العين: سيلانُ دمعها، وإضافةُ الشرّ إلى الليل لملابسته له بحدوثه فيه.

وتنكيرُه لعدم شمول الشرّ لجميع أفراده، ولا لكلّ أجزائه، وتقييده بقوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أي: دخل ظلامه في كلّ شيء؛ لأنّ حدوثه فيه أكثر، والتحرّز منه أصعب وأعسرُ، ولذلك قيل: «الليل أخفى للويل»،[3] وقيل: الغاسقُ هو القمر إذا امتلأ.[4] ووقوبُه دخوله في الخسوف واسوداده، لِما رُوي عن عائشةَ رضي الله تعالى عنها أنّها قالت: أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيدي فأشار إلى القمر، فقال: «تعوذي بالله مِن شرّ هذا، فإنّه الغاسق إذا وقب».[5]

وقيل: التعبير عن القمر بالغاسق؛ لأنّ جِرْمه مظلِم، وإنّما يستنير بضوء الشمس، ووقوبُه المَحاق في آخر الشهر، والمنجّمون يعدونه نحسًا، ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلّا في ذلك الوقت. قيل: وهو المناسب لسبب النزول. وقيل: الغاسق الثُّريّا، ووقوبها: سقوطها؛ لأنّها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين. وقيل: هو كلّ شر يعتري الإنسان، ووقوبه هجومه.[6]

---

[1] كما في الكشّاف للزمخشري، ٦٢٣/٤.

[2] القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٥٨٦/٣.

[3] مِن أمثال العرب. وهو في مجمع الأمثال للميداني، ١٩٣/٢؛ والمستقصى للزمخشري، ٣٤٣/١.

[4] القول في الكشّاف للزمخشري، ٦٢٣/٤.

[5] بلفظ قريب في سنن الترمذي، ٤٥٢/٥ (٣٣٦٦)؛ والمستدرك للحاكم، ٥٨٩/٢ (٣٩٨٩)؛ والكشّاف للزمخشري، ٦٢٣/٤-٦٢٤.

[6] هذه الأقوال الأربعة بلفظ قريب في تفسير الرازي، ٣٧٤/٣٢.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ أي: ومِن شرّ النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقِدن عَقَدًا في خيوط وينفثن عليها. والنفث: النفخ مع رِيق. وقيل: بدون رِيق.[1] وقُرِئ: "النَّافِثَاتِ"،[2] كما قُرِئ: "النَّفِثَاتِ"[3] بغير ألف. وتعريفها إمّا للعهد أو للإيذان بشمول الشرّ لجميع أفرادهنّ وتمحّضهنّ فيه.

وتخصيصُه بالذِّكر لِما روى ابن عبّاس وعائشةُ رضي الله تعالى عنهما: أنّه كان غلام مِن اليهود يخدم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكان عنده أسنان مِن مُشطه عليه السلام، فأعطاها اليهودَ فسحروه عليه السلام فيها، وتولّاه لبيد بن الأعصم اليهودي[4] وبناتُه، وهنّ النافثات في العقد، فدفنها في بئر أريس، فمرض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فنزل جبريلُ / عليه السلام بالمعوِّذتين، وأخبره بموضع السحر وبمَن سحره وبمَ سحره، فأرسل عليه السلام عليًا -كرّم الله تعالى وجهه- والزُّبيرَ وعمّارًا فنزحوا ماء البئر، فكأنّه نقاعة الحنّاء، ثمّ رفعوا راعُوفةَ البئر -وهي الصخرة التي توضع في أسفل البئر- فأخرجوا مِن تحتها الأسنان ومعها وَتَر قد عُقِد فيه إحدى عشرةَ عقدةً مُغْرَزَةً بالإبر، فجاءوا بها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فجعل يقرأ المعوِّذتين عليها، فكان كلّما قرأ آيةً انحلّت عقدة، ووَجَد عليه السلام خِفّةً، حتّى انحلّت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين، فقام عليه السلام كأنّما أُنشِط مِن عِقال فقالوا: «يا رسول الله، أفلا نقتل الخبيثَ؟» فقال عليه السلام: «أمّا أنا فقد عافاني الله عزّ وجلّ، وأكره أن أُثيرَ على الناس شرًّا».[5] قالت عائشةُ رضي الله عنها: «ما غَضِب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم غضبًا ينتقم لنفسه قطّ إلّا أن يكون شيئًا هو لله تعالى، فيغضب لله وينتقِم».[6] [٣٢٨و]

---

١ القول في اللباب لابن عادل، ٥٧٣/٢٠.

٢ قرأ بها رُويس بخلف عنه. النشر لابن الجزري، ٤٠٤/٢-٤٠٥.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وأبي الربيع. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٢٨.

٤ لبيد بن الأعصم مِن يهودِ بني زريق، وهو الذي سحر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والقصّة مذكورة في كتب السيرة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ١٧٥/٢؛ والروض الأنف للسُهيلي، ٣٩٨/٤.

٥ بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٥٩٣/٨-٥٩٤؛ وبعضه بمعناه في مسند أحمد، ٣٤٣/٤٠ (٢٤٣٠٠)؛ وصحيح البخاري، ١٣٦/٧ (٥٧٦٣)؛ وصحيح مسلم، ١٧١٩/٤ (٢١٨٩).

٦ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٥٧/٤٣ (٢٥٨٧١)؛ وصحيح البخاري، ١٦٠/٨ (٦٧٨٦).

وقيل: المراد بالنفث في العُقَد إبطالُ عزائم الرجال بالحِيَل، مستعارٌ مِن تليين العقدة بنَفْث الرِّيق ليسهُل حلُّها.[١]

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أي: إذا أظهر ما في نفسه مِن الحسد، وعمل بمقتضاه بترتيب مقدّمات الشرّ، ومبادي الإضرار بالمحسود قولًا أو فعلًا. والتقييدُ بذلك لِما أنّ ضَرَر الحسد قبله إنّما يحيق بالحاسد لا غيرُ.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ المعوِّذتين فكأنّما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى».[٢]

---

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٥٨٦/٣.

٢ الكشف والبيان للثعلبي، ٥٢٤/٣٠ (الفلق، ١/١١٣)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٧٢/٤ (الفلق، ١/١١٣)؛ الكشّاف للزمخشري، ٦٢٥/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

سُورَةُ الفَلَق

مكيةٌ في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ورواية كريب عن ابن عباس، مدنية في قول ابن عباس في رواية أبي صالح وقتادة وجماعة[1]، وهو الصحيح؛ لأنَّ سببَ نزولها سحر اليهود كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وهم إنما سَحَروه عليه الصلاة والسلام بالمدينة كما جاء في الصحاح[2]، فلا يُلتفت لمن صحَّح كونَها مكيةً. وكذا في الكلام في سورة الناس.

وآيها خمس بلا خلاف. ولمَّا شرح أمر الإلهية في السورة قبلها جيء بها بعدها شرحاً لِمَا يُستعاذ منه بالله تعالى من الشرِّ الذي في مراتب العالم ومراتب مخلوقاته. وهي والسورة التي بعدها نزلتا معاً كما في «الدلائل» للبيهقي[3]، فلذلك قُرِنَتا، مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوِّذتَين، ومن الافتتاح بـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾.

وقال الجلال السيوطي: عقَّب بهما سورةَ الإخلاص لأنَّ الثلاثة سُمِّيت في الحديث بالمعوِّذات، وبالقواقل[4]. وأنت قد سمعتَ في حديث عقبة بن عامر أنها خير ثلاث سورٍ أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٦٩، والبحر ٨/ ٥٣٠.

(٢) ينظر صحيح البخاري (٣٢٧٨)، وصحيح مسلم (٢١٨٩)، ومسند أحمد (٢٤٣٠٠).

(٣) دلائل النبوة ٦/ ٢٤٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وضعَّف الحافظ سنده في الفتح ١٠/ ٢٢٥، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ١٩٨-١٩٩ بطريق آخر، وسنده منقطع كما في الفتح.

(٤) تناسق الدرر للسيوطي ص ١٠٥، وينظر في تسميتها بالمعوذات حديث عائشة عند البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢)، وينظر كذلك فتح الباري ٩/ ٦٠. وأما تسميتها بالقواقل فقد وردت فيه أخبار كلها باطلة. ينظر الميزان ٣/ ٦٥٢، واللسان ٢/ ٩٧ و٣٤٨.

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت عليَّ الليلةَ آياتٌ لم أرَ مثلهنَّ قطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[1].

وأخرج البخاري وأبو داود والنسائيُّ وابنُ ماجه عن عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشِه كلَّ ليلة جَمَع كفَّيه، ثمَّ نَفَثَ فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم يَمْسَح بهما ما استطاعَ من جسده، يبدأ بهما على رَأسه وعلى وجهه وما أقْبَلَ من جسده، يفعلُ ذلك ثلاثَ مرات[2].

وأخرج النسائي وغيره عن ابن عابس[3] الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «يا ابن عابس[4]، ألا أُخبِرُكَ بأفضلِ ما تَعوَّذَ به المتعوِّذون»؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وهما المعوذتان»[5].

وجاء في الحديث أنَّ مَن قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يُمسي، وثلاثاً حين يُصبح كفَتْه مِن كلِّ شيءٍ[6]. وفي فضلهما أخبارٌ كثيرةٌ غيرُ ما ذكر.

وعن ابن مسعود أنَّه أنكر قُرآنِيَّتَهما؛ أخرج الإمام أحمد والبزّار والطبرانيُّ وابن مردويه من طُرق صحيحةٍ عنه: أنَّه كان يَحُكُّ المعوِّذتَين من المصحف ويقول:

---

(١) صحيح مسلم (٨١٤)، وسنن الترمذي (٢٩٠٢)، وسنن النسائي ٢/ ١٥٨، وهو عند أحمد (١٧٣٧٠).

(٢) صحيح البخاري (٥٠١٧)، وسنن أبي داود (٥٠٥٦)، وسنن النسائي الكبرى (١٠٥٥٦)، وسنن ابن ماجه (٣٨٧٥)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٤٨٥٣)، والترمذي (٣٤٠٢).

(٣) في الأصل: أبي حابس، وهو خطأ، والمثبت من مصادر التخريج على ما يأتي.

(٤) في الأصل: يا أبا حابس، والمثبت من المصادر.

(٥) من قوله: وأخرج النسائي وغيره، إلى هذا الموضع، ساقط من (م). والحديث في سنن النسائي (المجتبى) ٨/ ٢٥١-٢٥٢، وأخرجه أيضاً أحمد (١٧٢٩٧).

(٦) أخرجه أحمد (٢٢٦٦٤)، وأبو داود (٥٠٨٢)، والنسائي ٨/ ٢٥٠ من حديث عبد الله بن خبيب رضي الله عنه.

لا تخلطُوا القرآنَ بما ليس منه، إنهما ليستَا من كتاب الله تعالى، إنما أمر النبيُّ ﷺ أنْ يتعوَّذ بهما. وكان ابنُ مسعود لا يقرأ بهما. قال البزار: لم يتابع ابنَ مسعود أحدٌ من الصحابة، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قرأ بهما في الصلاة، وأُثبِتَتا في المصحف(١).

وأخرج الإمام أحمد والبخاريُّ والنسائيُّ وابن حبَّان وغيرهم عن زِرِّ بن حُبيش قال: أتيتُ المدينةَ فلقيتُ أُبيَّ بن كعب، فقلت له: يا أبا المنذر إنِّي رأيتُ ابنَ مسعود لا يكتبُ المعوذتَين في مصحفه؟ فقال: أَمَا والذي بعَثَ محمداً ﷺ بالحقِّ لقد سألتُ رسول الله ﷺ عنهما، وما سألني عنهما أحدٌ منذُ سألتُ غيرَك، فقال: «قيل لي: قل، فقلتُ، فقولوا» فنحن نقولُ كما قال رسول الله ﷺ(٢).

وبهذا الاختلاف قدَحَ بعضُ الملحدين في إعجاز القرآن؛ قال: لو كانت بلاغةُ ذلك بلغَت حدَّ الإعجاز لتميَّزَ به عن غير القرآن، فلم يُختَلَف في كونه منه.

وأنت تعلم أنَّه قد وقعَ الإجماع على قرآنِيَّتهما، وقالوا: إنَّ إنكار ذلك اليوم كفرٌ، ولعل ابنَ مسعود رجَعَ عن ذلك.

وفي «شرح المواقف»: إنَّ اختلافَ الصحابة في بعض سور القرآن مرويٌّ

---

(١) مسند البزار (١٥٨٦)، والخبر في مسند أحمد (٢١١٨٦) من زوائد ابنه عبد الله، والمعجم الكبير (٩١٥٢)، وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر ٦/ ٤١٦، وعنه نقل المصنف.

(٢) مسند أحمد (٢١١٨٢)، وصحيح البخاري (٤٩٧٧)، وسنن النسائي الكبرى (١١٦٥٣)، وصحيح ابن حبان (٧٩٧)، ونقله المصنف عن الدر المنثور ٦/ ٤١٦، ولفظ البخاري مختصر.
وقد ذهب جمع إلى تكذيب ما روي عن ابن مسعود وبطلانه، منهم ابن حزم في المحلى ١/ ١٣، والنووي في المجموع ٣/ ٣٩٦، والفخر الرازي في تفسيره ١/ ٢١٨، ولم يرتض ذلك ابن حجر في الفتح ٨/ ٧٤٣، حيث قال: والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل، بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل. اهـ. وجاء في كتاب الانتصار للقرآن للإمام الباقلاني: باب الكلام في المعوذتين، والكشف عن ظهور نقلهما وقيام الحجة بهما، وإبطال ما يدَّعونه من إنكار عبد الله بن مسعود لكونهما قرآناً منزلاً، وتأويل ما روي في إسقاطهما من مصحفه وحكِّه إياهما... ثم أفاض في الكلام على ذلك، ينظر الانتصار ١/ ٣٠٠-٣٣٠، والفتح ٨/ ٧٤٢-٧٤٣.

بالآحاد المفيدة للظنِّ، ومجموعُ القرآن منقولٌ بالتواتر المفيدِ لليقين الذي يَضْمَحِلُّ الظنُّ في مقابلته، فتلك الآحادُ مما لا يُلتَفَتُ إليه، ثم إنْ سلَّمنا اختلافَهم فيما ذكر قلنا: إنَّهم لم يختلفوا في نزوله على النبيِّ ﷺ، ولا في بلوغه في البلاغة حدَّ الإعجاز، بل في مجرَّد كونِهِ من القرآن، وذلك لا يضرُّ فيما نحن بصدده[1]. انتهى.

وعكسُ هذا القول في السورتَين المذكورتَين قيل في سورتَي الخلْعِ والحفْدِ، وفي ألفاظهما رواياتٌ منها ما يَقْنُتُ به الحنفية، فقد روي أنَّهما في مصحف أُبيٍّ بن كعب وفي مصحف ابن عباس وفي مصحف ابن مسعود، فهما إنْ صحَّ أنَّهما كلامُ الله تعالى منسوخا التلاوة وليسا من القرآن كما لا يخفى.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ﴾ أي: ألتجئُ وأعتصمُ وأتحرَّز ﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ فَعَل بمعنى مفعول، صفةٌ مشبَّهة كقَصَصَ بمعنى مقصوص، مِن فَلَقَ: شَقَّ وفَرقَ، وهو يعمُّ جميعَ الموجودات الممكنة، فإنَّه تعالى فَلَق [ظلمة العدم][2] بنورِ الإيجادِ عنها[3]، سيما ما يخرج مِن أصلٍ، كالعيون من الجبال، والأمطار من السحاب، والنباتِ من الأرض، والأولادِ من الأرحام، وخُصَّ عرفاً بالصبح، وإطلاقُهم المفلوقَ عليه مع قولهم: فَلَقَ الله تعالى الليلَ عن الصبح، على نحو إطلاق المسلوخ على الشاة مع قولهم: سلختُ الجلدَ من الشاة.

وتفسيرُه بالمعنى العامِّ أخرجَه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ولفظه: «الفَلَقُ»: الخلق[4].

---

(١) شرح المواقف للجرجاني ٨/ ٢٥٠-٢٥١.
(٢) ما بين حاصرتين من تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٨/ ٤١٤.
(٣) أي: عن الموجودات الممكنة. حاشية الشهاب ٨/ ٤١٤.
(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٧٤٥، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم السيوطي في الدر ٦/ ٤١٨.

وأخرج الطستي عنه أنَّه فسَّره بالصبح، وأنشد رضي الله عنه قول زهير:

الفارجُ الهمَّ مَسْدُولاً عساكرُه كما يفرِّجُ غَمَّ الظُّلمةِ الفَلَقُ(١)

وهو مرويٌّ عن جابر بن عبد الله ومجاهدٍ وقتادةَ وابن جبير والقرطبيِّ(٢) وابن زيد، وعليه فتعليقُ العياذ باسم الربِّ المضاف إلى الفلق المُنْبِئِ عن النور عقيب الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفَتْقِ بعد الرَّتْقِ، عِدَةٌ كريمةٌ بإعاذة العائذ مما يعوذ منه، وإنجائه منه، وتقويةٌ لرجائه بتذكير بعض نظائره، ومزيدُ ترغيبٍ له في الجِدِّ والاعتناءِ بقَرْعِ باب الالتجاء إليه عز وجل.

وقيل: إنَّ في تخصيص(٣) الفلق بالذكر لأنه أنموذجٌ من يوم القيامة، فالدُّورُ كالقبور، والنومُ أخو الموت، والخارجون من منازلهم صباحاً منهم مَن يذهب لنضرةٍ وسرور، ومنهم مَن يكون - من مطالبةِ ديونٍ - في غموم وشرور، إلى أحوالٍ أُخَرَ تكون للعباد هي أشبهُ شيءٍ بما يكون لهم في المعاد.

وتعقِّب بأن هذا لا يلائم المقام؛ لأن القصد الاستعاذة لا الدلالةَ والإشارة إلى أحوال يوم القيامة، إلا أن يقال: إن ذلك يدل على قدرة مَن لجأ المستعيذُ إليه، ففيه تبشيرٌ بأنه يُعيذه، وفيه بعدٌ كما ترى(٤).

وفي «تفسير القاضي»: أن لفظ الربِّ هاهنا أَوْقَعُ من سائر الأسماء - أي: التي يجوز إضافتُها إلى «الفلق» على ما قيل - لأنَّ الإعاذة من المضارِّ تربيةٌ(٥). وهو على تعميم «الفلق» ظاهرٌ؛ لشموله للمستعيذ والمستعاذِ منه، وعلى تخصيصه بالصبح قيل: لأنه مشعرٌ بأنه سبحانه قادرٌ مغيِّرٌ للأحوال مقلِّبٌ للأطوار، فيزيلُ الهمومَ والأكدار.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٤١٨، وأخرجه من طريق الطستي السيوطي في الإتقان ١/ ٣٩٤، ولم نقف عليه في ديوان زهير، وهو دون نسبة في العين ٦/ ١٠٩، وأساس البلاغة (فرج).

(٢) كذا نقل المصنف عن أبي حيان في البحر ٨/ ٥٣٠، والصواب: القرظي، كما في تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٧١، وتفسير ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وهو محمد بن كعب القرظي، وأخرجه عنه وعن الأئمة المذكورين الطبري ٢٤/ ٧٤٣-٧٤٤.

(٣) كذا في الأصل و(م)، ولعل الصواب: إن تخصيص، بحذف كلمة «في».

(٤) من قوله: وتعقب، إلى هذا الموضع ليس في (م).

(٥) تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٨/ ٤١٥.

وقال الرئيس ابن سينا بعد أن حمل «الفلق» على ظلمة العدم المفلوقةِ بنور الوجود: إنَّ في ذكر الربِّ سرًّا لطيفاً من حقائق العلم، وذلك أن المربوب لا يستغني في شيءٍ من حالاته عن الربِّ، كما يشاهَدُ في الطفل ما دام مربوباً، ولَمَّا كانت الماهِيَاتُ الممكنةُ غيرَ مستغنيةٍ عن إفاضة المبدأ الأول، لا جَرَمَ ذُكِرَ لفظُ الربِّ للإشارة إلى ذلك.

وفيه إشارةٌ أخرى من خفيَّات العلوم، وهو أنَّ العوذ والعياذ في اللغة عبارةٌ عن الالتجاء إلى الغير، فلما أمر بمجرَّد الالتجاء إلى الغير وعبّر عنه بالربِّ، دلَّ ذلك على أنَّ عدم الحصول ليس لأمرٍ يرجع إلى المستعاذ به المُفيضِ للخيرات، بل لأمرٍ يرجع إلى قابِلها، فإنَّ من المقرَّر أنه ليس شيءٌ من الكمالات وغيرها مبخولاً به من جانب المبدأ الأول سبحانه، بل الكلُّ حاصلٌ موقوفٌ على أن يَصْرِفَ المستعدُّ جهةَ قبوله إليه، وهو المعنيُّ بالإشارة النبوية: «إنَّ لربِّكم في أيام دهركم نفحاتٍ من رحمته، ألَا فتعرَّضوا لها»[1]، بيَّن أنَّ نفحات الألطاف دائمةٌ وإنما الخَلَلُ من المستعدِّ. انتهى.

وفي رواية عن ابن عباس أيضاً وجماعةٍ من الصحابة والتابعين أن «الفلق» جُبٌّ في جهنَّم[2].

وأخرج ابن مردويه والديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ قال: «هو سجنٌ في جهنَّمَ يُحْبَسُ فيه الجبَّارون والمتكبِّرون، وإنَّ جهنم لتعوذُ بالله تعالى منه»[3].

وأخرج ابن مردويه[4] عن عمرو بن عَبَسة[5] قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ

---

(١) سلف ١٢/ ٥٥٠.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٤١ عن ابن عباس والسدي، وخبر ابن عباس بلفظ: «الفلق»: سجن في جهنم.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٤١٨، وهو في مسند الفردوس للديلمي ٣/ ٢١٧.

(٤) كما في الدر المنثور ٦/ ٤١٨، وعنه نقل المصنف.

(٥) في الأصل و(م): عنبسة، في الموضعين، والصواب ما أثبتناه.

فقرأ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ فقال: «يا ابن عَبَسة، أتدري ما الفلق»؟ قلت: الله ورسولُه أعلم. قال: «بئرٌ في جهنم، فإذا سعِّرت البئر فمنها تسعَّرُ جهنم، وإن جهنم لتتأذَّى منه كما يتأذَّى ابنُ آدم من جهنم».

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن كعب قال: «الفلق» بيتٌ في جهنم إذا فُتح صاح أهلُ النار من شدَّة حرِّه[1].

وعن الكلبيِّ: أنه وادٍ في جهنَّم.

وقيل: هو جهنمُ.

وهو[2] ـ على ما في «الكشاف» ـ من قولهم لِمَا اطمأنَّ من الأرض: الفلق، والجمعُ: فُلْقان[3]، كخَلَق وخُلْقان. وتخصيصُه بالذكر قيل: لأنه مسكنُ اليهود، فعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دُورَ أهل الذمة وما هم فيه من خَفْضِ العيش وما وسِّع عليهم من دنياهم، فقال: لا أبالي، أليس مِن ورائهم الفلق. وفسّر بما روي آنفاً عن كعب[4]. ومنهم الذي سحر النبيَّ ﷺ، ففي تعليق العياذ بالربِّ مضافاً إليه عِدَةٌ كريمةٌ بإعاذته ﷺ من شرِّهم. ولا يَخْفَى أنَّ هذا مما لا يُثْلِجُ الصدرَ، وأظنُّ ضَعْفَ الأخبار السالفة، ويترجَّحُ في نظري المعنى الأول للفلق.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: من شرِّ الذي خَلَقَه من الثقلين وغيرهم كائناً ما كان من ذواتِ الطباع والاختيار. والظاهرُ عمومُ الشرِّ للمضارِّ البدنية وغيرِها، وزعم بعضهم أن الاستعاذة هاهنا من المضارِّ البدنية، وأنها تعمُّ الإنسانَ وغيرَه مما ليس بصدد الاستعاذة، ثم جُعل عمومها مدارَ إضافة الربِّ إلى الفلق بالمعنى العامِّ. وهو كما ترى، نعم الذي يتبادر إلى الذهن أنَّ عمومه لشرور الدنيا.

وقال بعض الأفاضل: هو عامٌّ لكلِّ شرٍّ في الدنيا والآخرة، وشرِّ الإنس والجنِّ

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٧٤٢، وعزاه لابن أبي حاتم ابن كثير عند تفسير هذه الآية.
(٢) يعني على القول بأنه وادٍ في جهنم أو جبٌّ فيها، كما في الكشاف ٤/ ٣٠٠.
(٣) الكشاف ٤/ ٣٠٠.
(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٤٢.

والشياطين، وشرِّ السباع والهوامِّ، وشرِّ النار، وشرِّ الذنوب والهوى، وشرِّ النفس، وشر العمل. وظاهرُه تعميمُ «ما خلق» بحيث يشمل نفس المستعيذ، ولا يأبى ذلك نزولُ السورة ليستعيذ بها رسول الله ﷺ.

وجوَّز بعضهم جَعْلَ «ما» مصدريةً مع تأويل المصدر باسم المفعول، وهو تكلُّفٌ مستغنًى عنه.

وإضافة الشرِّ إلى «ما خلق» قيل: لاختصاصه بعلم الخلق المؤسَّس على امتزاج الموادِّ المتباينة المستتبعة للكون والفساد، وأمَّا عالَمُ الأمر الذي أُوجِدَ بمجرد أمرِ «كن» من غيرِ مادةٍ فهو خيرٌ محضٌ منزَّهٌ عن شوائب الشَّرِّ بالمرَّة. والظاهر أنه عنى بعالَم الأمر عالَمَ المجرَّدات، وهم الملائكةُ عليهم السلام.

وأُورِدَ عليه ـ بعد غضِّ الطَّرْفِ عن عدم ورود ذلك في لسان الشرع ـ أنَّ منهم مَن يَصْدُرُ منه شرٌّ، كخسف البلاد، وتعذيبِ العباد.

وأجيب بأنَّ ذلك بأمره تعالى، فلم يَصْدُر إلا لامتثالِ الأمر، لا لقَصْدِ الشرِّ من حيث هو شرٌّ، فلا إيرادَ.

نعم يَرِدُ أنَّ كونهم مجرَّدين خلافُ المختار الذي عليه سَلَفُ الأمة ومَن تبعهم، بل هم أجسامٌ لطيفةٌ نوريةٌ، ولو سلِّم تجرُّدهم قلنا بعدم حَصْرِ المجرَّدات فيهم، كيف وقد قال كثيرٌ بتجرُّد الجنِّ، فقالوا: إنها ليست أجساماً ولا حالَّةً فيها، بل هي جواهرُ مجرَّدةٌ قائمةٌ بأنفسها، مختلفةٌ بالماهية، بعضُها خيِّرةٌ وبعضُها شرِّيرةٌ، وبعضها كريمةٌ حرةٌ مُحِبَّةٌ للخيرات، وبعضُها دَنِيَّةٌ خسيسةٌ مُحِبَّةٌ للشرور والآفات.

وحينئذ كيف يتسنَّى إطلاقُ القول بأنَّ عالَم الأمر الذي وُجد من غير مادةٍ خيرٌ محضٌ؟

وأيضاً قيل: إن الأرواح البشرية ـ على القول بتجرُّدها ـ منها ما هو شرِّيرٌ، فتَرِدُ عليه أيضاً، إلا أن يقال إنه حَمَل المجرَّد على ما ليس جسماً ولا متعلِّقاً به، وهو كما تَرى[1].

---

(١) من قوله: وحينئذٍ كيف يتسنى، إلى هذا الموضع، ليس في (م).

وبالجملة «ما خلق» أعمُّ من المجرَّد ـ على القول به ـ وغيره، والكلُّ مخلوقٌ له تعالى، أي: موجَدٌ بالاختيار بعد العدم، إلا أنَّ المراد الاستعاذةُ مما فيه شرٌّ من ذلك.

وقرأ عمرو بن فائد على ما في «البحر»: «من شرٍّ» بالتنوين[١]، وقال ابن عطية: هي قراءةُ عمرو بن عبيد وبعضِ المعتزلة القائلين بأنَّ الله تعالى لم يَخْلُقِ الشرَّ، وحملوا «ما» على النفي، وجعلوا الجملة في موضع الصفة، أي: من شرٍّ ما خَلَقه الله تعالى ولا أَوْجَدَه، وهي قراءةٌ مردودةٌ مبنيةٌ على مذهبٍ باطلٍ[٢]. انتهى.

وأنت تعلم أنَّ القراءة بالرواية، ولا يتعيَّن في هذه القراءة هذا التوجيهُ، بل يجوز أن تكون «ما» بدلاً من «شَرّ» على تقدير محذوفٍ قد حُذف لدلالة ما قبله عليه، أي: من شرٍّ شرِّ ما خلق[٣].

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ تخصيصٌ لبعض الشرور بالذكر مع اندراجِه فيما قبلُ؛ لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه؛ لكثرة وقوعه، ولأنَّ تعيين المستعاذ منه أدلُّ على الاغتناء بالاستعاذة، وأَدْعَى إلى الإعاذة.

والغاسقُ: الليل إذا اعتكر ظلامُه.

وأصلُ الغسق: الامتلاء؛ يقال: غَسقَتِ[٤] العينُ: إذا امتلأَتْ دمعاً. وقيل: هو السَّيلان، وغَسَقُ الليل: انصبابُ ظلامه، على الاستعارة، وغَسَقُ العين: سيلانُ دمعها.

وإضافة الشرِّ إلى الليل لملابسته له لحدوثه فيه، على حدِّ: نهارُه صائمٌ، وتنكيرُه لعموم شمول الشرِّ لجميع أفراده ولكلِّ أجزائه.

﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أي: إذا دخل ظلامه في كلِّ شيء، وأصلُ الوقب: النقرةُ والحفرة، ثم استعمل في الدخول، ومنه قوله:

---

(١) البحر ٨/ ٥٣٠، وهي في القراءات الشاذة ص١٨٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨.
(٣) فحذف «شر» الثاني لدلالة الأول عليه، أطلق أولاً ثم عمم ثانياً. ينظر البحر ٨/ ٥٣٠، والدر المصون ١١/ ١٥٨.
(٤) كضرب وسمع. القاموس (غسق).

وَقَبَ العذابُ عليهمُ فكأنَّهمْ لَحِقَتْهُمُ نارُ السَّمومِ فأُخْمِدوا[١]

وكذا في المغيب؛ لِمَا أنَّ ذلك كالدخول في الوقب، أي: النقرة والحفرة، وقد فسِّر هنا بالمجيء أيضاً.

والتقييدُ بهذا الوقت لأنَّ حدوثَ الشرِّ فيه أكثر، والتحرُّز منه أصعب وأَعْسَرُ، ومن أمثالهم: الليل أَخْفَى للويل[٢].

وتفسير الغاسق بالليل، والوقوبِ بدخول ظلامه، أخرجه ابنُ جرير وابن المنذر عن ابن عباس ومجاهد[٣]، وابنُ أبي حاتم عن الضحاك[٤]، وروي عن الحسن أيضاً، وإليه ذهب الزجَّاج، إلا أنه جعل الغاسق بمعنى البارد، وقال: أُطلق على الليل لأنه أبردُ من النهار[٥].

وقال محمد بن كعب: هو النهار، ووقب بمعنى دخل في الليل. وهو كما ترى.

وقيل: القمر إذا امتلأ نوراً، على أنَّ الغسق الامتلاء، وَوُقوبُه دخولُه في الخسوف واسودادُه.

وقيل: التعبير عنه بالغاسق لسرعة سيره وقَطْعِه البروجَ على أن الغسق مستعارٌ من السيلان. وقيل: التعبير عنه بذلك لأن جِرْمَه مظلمٌ، وإنما يستنيرُ من ضوء الشمس. ووقوبُه على القولين المحاقُ[٦] في آخر الشهر، والمنجِّمون يَعُدُّونه نحساً

---

(١) أنشده ابن عباس لنافع ابن الأزرق كما في الدر المنثور ٦/ ٤١٩، وهو في تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٧٤، والبحر ٨/ ٥٢٩ برواية: فأحصدوا، بدل: فأخمدوا.

(٢) جاء في هامش الأصل: أول مَن تكلَّم به سارية بن عويمر العقيلي، والمعنى: افعل فيه ما تريد فإنه أخفى لشرِّك، ولهذا الخفاء يَعْسُر الدفع. اهـ منه.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٧٤٦، والدر المنثور ٦/ ٤١٨ و٤١٩، وعنه نقل المصنف.

(٤) لم نقف على من عزاه لابن أبي حاتم، وأخرجه إبراهيم الحربي في غريب الحديث ٢/ ٧١٥ من طريق جويبر عن الضحاك قال: الغاسق: الليل.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٧٩.

(٦) المحاق مثلثة الميم: أن يستسرَّ القمر ليلتين، فلا يُرى غدوة ولا عشية، ويقال: هو ثلاث ليال من آخر الشهر. معجم متن اللغة (محق).

ولذلك لا تشتغلُ السحرة بالسحر المورِثِ للمرض إلا في ذلك الوقت، قيل: وهو المناسبُ لسبب النزول.

واستُدلَّ على تفسيره بالقمر بما أخرجه الإمام أحمد والترمذيُّ والحاكم وصححه وغيرُهم عن عائشة قالت: نظر رسول الله ﷺ يوماً إلى القمر لَمَّا طلع، فقال: «يا عائشة، استعيذي بالله تعالى من شرِّ هذا، فإنَّ هذا الغاسقُ إذا وقب»[1] ومَن سلَّم صحة هذا لا ينبغي له العدولُ إلى تفسيرٍ آخَرَ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب أنه قال: الغاسق إذا وقب: الشمسُ إذا غربت[2]. وكأنَّ إطلاق الغاسق عليها لامتلائها نوراً.

ونقل ابن زيد عن العرب أنَّ الغاسق الثريا، ووقوبها سقوطُها، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند ذلك[3]. ورَوَى تفسيرَه بذلك غيرُ واحدٍ عن أبي هريرة مرفوعاً[4]. وفي الحديث: «إذا طلع النجم ارتفعت العاهة»[5]، وفي بعض الروايات زيادة: «عن جزيرة العرب»[6]. وفي بعضها: «ما طلع النجمُ ذات غداةٍ إلا رُفعت كلُّ آفةٍ أو عاهةٍ أو خفَّت»[7]، وفيه رواياتٌ أُخَرُ، فليُراجَعْ شرحُ المناوي الكبير للجامع الصغير[8].

---

(١) مسند أحمد (٢٥٨٠٢)، وسنن الترمذي (٣٣٦٦)، والمستدرك ٢/ ٥٤٠. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٤١٨.
(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٤٧-٧٤٨، وفيه: وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها.
(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤١٨ للطبري وأبي الشيخ وابن مردويه بلفظ: «النجم هو الغاسق، وهو الثريا»، وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ٧٤٨ بلفظ: «النجم الغاسق». قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.
(٥) أخرجه أحمد (٨٤٩٥) بلفظ: «إذا طلع النجم ذا صباح رفعت العاهة».
(٦) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٠٠) بلفظ: «. . . عن كل بلد».
(٧) أخرج هذه الرواية أبو الشيخ في العظمة (٦٩٩)، وبنحوها أحمد (٩٠٣٩)، وابن عبد البر في التمهيد ٢/ ١٩٣.
(٨) ينظر فيض القدير ٥/ ٤٥٤.

وقيل: أريدَ بذلك: الحيَّة إذا لَدَغَتْ، وإطلاق الغاسق عليها لامتلائها سمًّا. وقيل: أريد سمُّها إذا دخل في الجسد، وأطلق عليه الغاسق لسيلانه من نابها. وكِلَا القولين لا يعوَّلُ عليه.

وقيل: هو كلُّ شرٍّ يعتري الإنسان، والشرُّ يوصَفُ بالظُّلمة والسواد، ووقوبُه هجومُه.

وذكر المجد الفيروزآبادي في «القاموس» في مادة «وقب» قولاً في معنى الآية زعم أنه حكاه الغزالي وغيرُه عن ابن عباس[1]، ولا أظنُّ صحة نسبته إليه؛ لظهور أنه عورةٌ بين الأقوال.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ أي: ومن شرِّ النفوس السواحر اللاتي يعقدن عُقَداً في خيوطٍ وينفثْنَ عليها، فالنفَّاثات صفةٌ للنفوس، واعتبر ذلك لمكان التأنيث، مع أن تأثير السحر إنما هو من جهة النفوس الخبيثة والأرواح الشريرة، وسلطانُه منها.

وقدَّر بعضهم النساء موصوفاً، والأول أولى؛ ليشمل الرجالَ ويتضمَّنَ الإشارةَ السابقة، ويطابقَ سببَ النزول، فإنَّ الذي سَحَرَه ﷺ كان رجلاً على المشهور كما ستسمع إن شاء الله تعالى.

وقيل: أعانه بعضُ النساء، ولكون مثلِ ذلك من عمل النساء وكيدهنَّ غلِّب المؤنَّثُ على المذكَّر هنا، وهو جائزٌ على ما فصَّله الخفاجيُّ في «شرح درة الغوَّاص».

والنفث: النفخ مع ريق كما قال الزمخشري[2].

وقال صاحب «اللوامح»[3]: هو شبهُ النفخ يكون في الرُّقية ولا ريقَ معه، فإن كانْ بِرِيقٍ فهو تَفْلٌ.

(١) القاموس (وقب).

(٢) في الكشاف ٤/ ٣٠١.

(٣) كما في البحر ٨/ ٥٣٠.

والأول هو الأصحُّ؛ لِمَا نقله ابن القيم[١] من أنهم إذا سَحَروا استعانوا على تأثير فعلهم بنَفَسٍ يمازجُه بعضُ أجزاء أنفسهم الخبيثة.

وقرأ الحسن: «النُّفَّاثات» بضمِّ النون. وقرأ هو أيضاً وابنُ عمر وعبد الله بن القاسم ويعقوب في روايةٍ: «النافثات». وأبو الربيع والحسن أيضاً: «النَّفِثات» بغير ألف كالحذرات[٢].

وتعريفُها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشرِّ لجميع أفرادهنَّ وتمحُّضهنَّ فيه، وتخصيصُه بالذكر لِمَا رَوَى البخاريُّ ومسلمٌ وابنُ ماجه عن عائشة ﵂ قالت: سُحِرَ رسول الله ﷺ حتى إنه ليُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فَعَلَه، حتى إذا كان ذاتَ يومٍ ـ أو ذاتَ ليلةٍ ـ دعا اللهَ، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: «أَشَعرْتِ يا عائشةُ أنَّ الله تعالى قد أفتاني فيما استفتيتُه فيه» قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: «جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخَرُ عند رجليَّ، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجليَّ، أو الذي عند رجليَّ للذي عند رأسي: ما وجعُ الرجل؟ قال: مَطْبوبٌ. قال: مَن طَبَّه؟ قال: لَبيدُ بنُ الأَعْصَم[٣]. قال: في أيِّ شيءٍ؟ قال: في مِشْطٍ ومُشاطةٍ، وجُفِّ طلعةِ ذَكَرٍ. قال: فأين هو؟ قال: في بئرِ ذي أَرْوَان» قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناسٍ من أصحابه، ثم قال: «يا عائشة، والله لكأنَّ ماءها نُقاعةُ الحِنَّاء، ولكأنَّ نَخْلَها رؤوسُ الشياطين» قالت: فقلتُ: يا رسول الله، أفلا أَحْرَقْتَه؟ قال: «لا، أمَّا أنا فقد عافاني الله تعالى وكرهتُ أن أثير على الناس شرًّا، فأمرتُ بها فدُفنت»[٤].

---

(١) في زاد المعاد ٤/ ١٧٩.

(٢) تنظر هذه القراءات في القراءات الشاذة ص١٨٢، والبحر ٨/ ٥٣١، وعنه نقل المصنف.

(٣) جاء في هامش الأصل: يهودي من يهود بني زريق، وكان يخدم النبي عليه الصلاة والسلام. اهـ منه. وينظر الكلام على لبيد بن الأعصم في فتح الباري ١٠/ ٢٢٦.

(٤) صحيح البخاري (٥٧٦٥)، وصحيح مسلم (٢١٨٩)، واللفظ له، وسنن ابن ماجه (٣٥٤٥)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٤٣٠٠). قال السندي كما في حاشية المسند: قوله: مطبوب، أي: مسحور. وقوله: في مشط ومشاطة، المشط معروف، والمشاطة: شعر ساقط عند التسريح. وقوله: وجُفّ طلعة ذكر بضم جيم وتشديد فاء: وهو الغشاء الذي على طلع النخل، ويطلق النخل على الذكر والأنثى، ولذا قيّده بالذّكر.

وهذان الملكان ـ على ما يدلُّ عليه رواية ابن مردويه(١) من طريق عكرمة عن ابن عباس ـ هما جبريلُ وميكائيل عليهما السلام.

ومن حديثها في «الدلائل» للبيهقي بعد ذكر حديث الملكين: فلما أصبح رسول الله ﷺ غدا ومعه أصحابه إلى البئر، فدخل رجلٌ فاستخرج جُفَّ طلعةٍ من تحت الراعوفة، فإذ فيها مشطُ رسول الله ﷺ ومِن مُشاطةِ رأسه، وإذا تمثالٌ من شمعٍ تمثالُ رسول الله ﷺ، وإذا فيها إبرٌ مغروزةٌ، وإذا وترٌ فيه إحدى عَشْرةَ عقدةً، فأتاه جبريل عليه السلام بالمعوِّذتين فقال: يا محمد ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وحلَّ عقدةً ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وحلَّ عقدةً، حتى فَرغَ منها وحلَّ العُقَدَ كلَّها، وجعل لا ينزعُ إِبرةً إلَّا وجد ألماً ثم يجد بعد ذلك راحةً، فقيل: يا رسول الله، لو قتلتَ اليهوديَّ. قال: «قد عافاني الله تعالى، وما يراه من عذاب الله تعالى أشدُّ»(٢).

وفي روايةٍ: أنَّ الذي تولَّى السحر لبيد بن الأعصم وبناتُه(٣)، فمرض النبيُّ ﷺ، فنزل جبريل بالمعوِّذتين، وأخبره بموضع السحر وبِمَن سَحَره وبمَ سَحَره، فأرسل ﷺ عليًّا كرم الله تعالى وجهه والزبير وعماراً، فنزحوا ماء البئر وهو كنقاعة الحنَّاء، ثم رفعوا راعوفة البئر فأخرجوا أسنان المشط ومعها وترٌ قد عُقِدَ فيه إحدى عَشْرةَ عقدةً مغروزة بالإبر فجاؤوا بها النبيَّ ﷺ، فجعل يقرأ المعوِّذتين عليها، فكان كلما قرأ آيةً انحلَّت عقدةٌ، ووجد عليه الصلاة والسلام خفةً، حتى انحلَّت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين، فقام ﷺ كأنما أُنشط من عقال، الخبر(٤). والروايةُ الأولى أصحُّ من هذه.

---

(١) كما في الدر المنثور ٦/ ٤١٧-٤١٨.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٩٢-٩٤، وإسناده ضعيف كما ذكر الحافظ في الفتح ١٠/ ٢٣٥.
قوله: الراعوفة، هي حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي، وقد يكون في أسفل البئر. وجاء في بعض روايات الحديث: رعوفه، دون ألف، وفي بعضها: رعوثة بمثلثة بدل الفاء، وفي النهاية: زعوبة بزاي وباء، وقال: هي بمعنى راعوفة. ينظر الفتح ١٠/ ٢٣٤.

(٣) جاء في هامش الأصل: وقيل: أعانته زينب اليهودية.

(٤) نقل المصنف هذه الرواية عن تفسير أبي السعود ٩/ ٢١٥. وذكرها مطولة الثعلبي في تفسيره =

ونقل الماتريدي[١] عن أبي بكر الأصمّ أنه قال: إن حديث السحر المروي هنا متروك؛ لِمَا يلزمه من صدق قول الكفرة: إنه عليه الصلاة والسلام مسحور، وهو مخالف لنصِّ القرآن العظيم[٢].

وقال الإمام المازريُّ[٣]: قد أنكر ذلك الحديثَ المبتدعةُ من حيث إنه يحطُّ منصبَ النبوَّة ويشكِّكُ فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع.

وأجيبَ: بأن الحديث صحيحٌ، وهو غيرُ مراغمٍ للنصِّ، ولا يلزم عليه حطُّ منصب النبوَّة والتشكيكُ فيها؛ لأنَّ الكفار أرادوا بقولهم: مسحور، أنه مجنونٌ وحاشاه، ولو سلِّم إرادةُ ظاهره فهو كان قبل هذه القصة، أو مرادهم أنَّ السحر أثَّر فيه، وأنَّ ما يأتيه من الوحي من تخيُّلات السحر، وهو كذبٌ أيضاً؛ لأنَّ الله عصمه فيما يتعلَّقُ بالرسالة.

وأما ما يتعلَّق ببعض أمور الدنيا التي لم يُبعث عليه الصلاة والسلام بسببها وهي مِمَّا يَعْرِضُ للبشر، فغيرُ بعيدٍ أن يخيَّل إليه من ذلك ما لا حقيقةَ له، وقد قيل: إنه إنما كان يخيَّل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئٍ، وقد يتخيَّل الإنسان مثل هذا في المنام، فلا يبعد تخيُّله في اليقظة. وقيل: إنه يخيَّل أنه فَعَله وما فَعَله، ولكن لا يعتقد صحةَ ما تَخيَّله، فتكون اعتقاداتُه عليه الصلاة والسلام على السَّداد.

وقال القاضي عياض[٤]: قد جاءت رواياتُ حديث عائشة مبيِّنةً أنَّ السحر إنما تسلَّط على جسده الشريف ﷺ وظواهِرِ جوارحه، لا على عَقْلِه عليه الصلاة

= ١٠/ ٣٣٨ عن ابن عباس وعائشة ﵄. وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هكذا أورده (يعني الثعلبي) بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم.

(١) في تأويلات أهل السنة ٥/ ٥٤٣، ونقله المصنف عنه بواسطة الشهاب في الحاشية ٨/ ٤١٦.

(٢) من قوله: ونقل الماتريدي، إلى هذا الموضع، ليس في (م).

(٣) في المُعْلِم بفوائد مسلم ٣/ ٩٣.

(٤) في إكمال المُعْلِم ٧/ ٨٨، ونقله المصنف عنه بواسطة النووي في شرح صحيح مسلم ١٤/ ١٧٥، وما قبله منه.

والسلام وقلبِه واعتقادِه، ويكون معنى ما في بعض الروايات: حتى يَظنّ أنه يأتي أهله ولا يأتيهنَّ، وفي بعضٍ: أنه يخيَّل إليه أنه.. إلخ، أنه يظهر له من نشاطه ومتقدِّم عادته القدرةُ عليهنَّ فإذا دنا منهنَّ أخذته أخذةُ السحر فلم يأتهنَّ ولم يتمكَّن من ذلك كما يعتري المسحور، وكلُّ ما جاء في الروايات من أنه عليه الصلاة والسلام يخيَّل إليه فعلُ شيءٍ ولم يفعله ونحوُه فمحمولٌ على التخيُّل بالصبر، لا لخللٍ تطرَّق إلى العقل، وليس في ذلك ما يُدخِلُ لبساً على الرسالة، ولا طعناً لأهل الضلالة[1]. انتهى.

وبعضهم أنكر أصل السحر ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالاتٍ باطلةٍ لا حقائق لها، ومذهبُ أهل السنَّة وعلماءِ الأمة على إثباته، وأنَّ له حقيقةً كحقيقة غيره من الأشياء؛ لدلالةِ الكتاب والسنَّة على ذلك، ولا يُستنكر في العقل أنَّ الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلامٍ ملفَّقٍ، أو تركيبِ أجسامٍ مخصوصةٍ أو المزجِ بين قوًى على ترتيبٍ لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعضَ الأجسام، منها قاتلةٌ كالسموم، ومنها مُسْقِمةٌ كالأدوية الحادَّة، ومنها مُضِرَّةٌ كالأدوية المضادَّة للمرض، لم يستبعد عقلُه أن ينفرد الساحر بعلم قوًى قتَّالةٍ، أو كلامٍ مهلكٍ، أو مؤدٍّ إلى التفرقة، ومع ذلك لا يخلو من تأثيرٍ نفسانيٍّ.

ثم إنَّ القائلين به اختلفوا في القَدْرِ الذي يقع به، فقال بعضهم: لا يزيد تأثيرُه على قَدْرِ التفرقة بين المرء وزوجه؛ لأنَّ الله تعالى إنما ذكر ذلك تعظيماً لما يكون عنده وتهويلاً له، فلو وقع به أعظم منه لذَكَره؛ لأنَّ المَثَلَ لا يُضْرَبُ عند المبالغة إلا بأعلى أحوال المذكور. ومذهبُ الأشاعرة أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، وهو الصحيح عقلاً؛ لأنه لا فاعلَ إلا الله، وما يقع من ذلك فهو عادةٌ أجراها الله تعالى ولا تفترقُ الأفعال في ذلك، وليس بعضُها بأَوْلَى من بعضٍ، ولو ورد الشرع بقصوره عن مرتبةٍ لوَجَبَ المصيرُ إليه، ولكن لا يوجد شرعٌ قاطعٌ يوجب الاقتصار

---

(١) جاء في هامش الأصل: وقد جرى على الأنبياء عليهم السلام من العوارض البشرية الغير المخلَّة بالنبوة ما هو أعظم من هذا التأثر، وهو القتل ونحوه. اهـ منه.

على ما قاله القائل الأول، وذِكْرُ التفرقة بين الزوجين في الآية ليس بنصٍّ في منع الزيادة، وإنما النظرُ في أنه ظاهرٌ أم لا.

والفرقُ بين الساحر وبين النبيِّ والوليِّ ـ على قول الأشاعرة بأنه يجوز خَرْقُ العادة على يد الساحر ـ مبيَّنٌ في الكتب الكلامية، وغيرِها من شروح الصحاح.

وقيل في الآية: المرادُ بالنفث في العُقَدِ إبطالُ عزائم الرجال بالحيل، مستعارٌ من تليين العُقَدِ بنَفْثِ الرِّيقِ ليَسْهُلَ حَلُّها. وهو يَقْرُبُ من بِدَعِ التفاسير.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ أي: إذا أَظْهَرَ ما في نفسه من الحسد، وعَمِلَ بمقتضاه بترتيب مقدِّمات الشرِّ ومبادي الإضرار بالمحسود قولاً وفعلاً، ومن ذلك ـ على ما قيل ـ النظرُ إلى المحسود وتوجيهُ نفسه الخبيثة نحوه على وجه الغضب، فإنَّ نفس الحاسد حينئذٍ تتكيَّفُ بكيفيةٍ خبيثةٍ ربما تؤثِّر في المحسود بحَسَب ضَعْفِه وقوَّةِ نَفْسِ الحاسد شرًّا قد يصل إلى حدِّ الإهلاك، ورُبَّ حاسدٍ يؤذي بنظره بعينِ حسده نحوَ ما يؤذي بعضُ الحيَّات بنظرهنَّ.

وذكروا أنَّ العائن والحاسد يشتركان في أنَّ كلًّا منهما تتكيَّفُ نفسه وتتوجَّه نحو مَن تريد أذاه، إلا أنَّ العائن تتكيَّفُ نفسه عند مقابلة العين والمعاينةِ، والحاسدُ يَحْصُلُ حَسَدُه في الغيبة والحضور.

وأيضاً العائنُ قد يَعِينُ من لا يحسده من حيوانٍ وزرعٍ، وإن كان لا ينفكُّ من حسد صاحبه(١).

والتقييد بذلك(٢) إذ لا ضرر قبله، بل قيل: إنَّ ضرر الحسد قبلُ(٣) إنما يَحيقُ بالحاسد لا غير، كما قال عليٌّ كرم الله تعالى وجهه: لله درُّ الحسد ما أَعْدَلَه، بدأ بصاحبه فقتله. وقال ابن المعتز:

اصْبِرْ على حسد الحسو ... د فإنَّ صَبْرَكَ قاتِلُهْ

(١) أي: صاحب الحيوان والزرع.
(٢) أي: بقوله: «إذا حسد».
(٣) قوله: قبل، ليس في (م).

فـالـنـارُ تـأكـل بـعـضـهـا إن لـم تـجـد مـا تـأكـلـه[1]

ولْيُعْلَمْ أنَّ الحسد يُطْلَقُ على تَمنِّي زوال نعمة الغير، وعلى تمنِّي استصحاب عدم النعمة ودوامِ ما في الغير من نقصٍ أو فقرٍ أو نحوه، والإطلاقُ الأول هو الشائعُ، والحاسدُ بكِلَا الإطلاقين ممقوتٌ عند الله تعالى وعند عباده عز وجل، آتٍ باباً من الكبائر على ما اشتهر بينهم، لكن التحقيق أنَّ الحسد الغريزي الجِبلِّي إذا لم يعمل بمقتضاه من الأذى مطلقاً، بل عامَلَ المتَّصفُ به أخاه بما يحبُّ الله تعالى مجاهداً نفسه، لا إثم فيه، بل يثابُ صاحبُه على جهاد نفسه وحُسْنِ معاملتِه أخاه ثواباً عظيماً، لما في ذلك من مشقَّةِ مخالفةِ الطبع كما لا يخفى.

ويطلق الحسد على الغبطة مجازاً، وكان ذلك شائعاً في العرف الأول، وهي تمنِّي أن يكون له مثل ما لأخيه من النعمة، من غير تمنِّي زوالها، وهذا مما لا بأس به، ومن ذلك ما صحَّ من قوله ﷺ: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله تعالى مالاً فسلَّطه على هلكته في الحقِّ، ورجلٌ آتاه الله تعالى الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها الناس»[2].

وقال أبو تمام:

هُـمُ حَـسَـدُوه لا مَـلـومـيـنَ مَـجْـدَه وما حاسدٌ في المكرُمات بحاسدِ[3]

وقال أيضاً:

واعْذِرْ حسودَك فيما قد خُصِصْتَ به إنَّ العُلا حَسَنٌ في مِثْلِها الحسدُ[4]

هذا، وقال الرئيس ابن سينا: الغاسق: القوةُ الحيوانية، فهي ظُلْمةٌ غاسقةٌ منكدرةٌ، على خلاف النفس الناطقة التي هي المستعيذةُ، فإنها خُلقت في جوهرها نقيةً صافيةً مبرَّأةً عن كدورات المادة وعلائقها، قابلةً لجميع الصور والحقائق، وإنما تتلوَّثُ من الحيوانية. والنفَّاثاتُ في العُقَد إشارةٌ إلى القوى النباتية من حيث

(١) ديوان ابن المعتز ص٣٤٤.
(٢) سلف ٣/ ٤٦٠.
(٣) ديوان أبي تمام ٢/ ٧٣.
(٤) ديوان أبي تمام ٢/ ٢١.

إنها تَزيدُ في المقدار من جميع جهاته: الطول والعَرْض والعمق، فكأنها تنفثُ في العُقَدِ الثلاث، ولَمَّا كانت العلاقةُ بين النفس الإنسانية والقُوى النباتية بواسطةِ الحيوانية، لا جَرَمَ قدّم ذكر القوى الحيوانية على القوى النباتية، والشرُّ اللازم من هاتين القوتين في جوهر النفس هو استحكامُ علائق البدن، وامتناعُ تغذِّيها بالغذاء الموافق لها اللائقِ بجوهرها، وهو الإحاطةُ بملكوت السماوات والأرض، والانتقاش بالنقوش الباقية. وعُني بقوله تعالى: (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) النزاعُ الحاصل بين البدن وقواه وبين النفس، فالحاسدُ هو البدن من حيث له القوتان، والمحسودُ هو النفس، فالبدنُ وبالٌ عليها، فما أحسن حالَها عند الإعراض عنه، وما أعظم لذَّتها بالمفارقة إن لم تكن تلوَّثَتْ منه.

وقيل: الغاسق إشارةٌ إلى المعدن، والنفَّاثاتُ إلى النباتات، والحاسدُ إلى الحيوان، ولما كان الإنسان لا يتضرَّرُ عن الأجسام الفلكية وإنما يتضرَّرُ عن الأجسام العنصرية، وهي إما معدنٌ أو نباتٌ أو حيوانٌ، أُمِرَ بالاستعاذة من شرِّ كلٍّ منها.

وكِلَا القولين كما ترى، والله تعالى أعلم.